الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٥٢ - ٢ يوليو سنة ١٩٣٤ - السنة الثانية

2 me Année, No. 52.

Lundi-2-7-1934

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠ / ٤٠٥٣٠

العــــدد ٥٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ — ٢ يوليو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العــــدد

فى الموقف الأدبى الحاضر

كان ظهور (الملاّح التائه) و (وراء الغمام)، وصدور (الوادى) فى لونها الجديد سببا قريبا فى حدوث هذه الضجة الأدبية القائمة. لأن الديوانين على رغم ماقيل فيهما نتاج من الطراز الأول يستحق العناية ويستوجب النقد ويستدعى الخلاف؛ ولأن الشاعرين — وإن كانا بحكم ثقافتهما غريبين عن العالم الأدبى — قد جذبا اليهما الأنظار، وعطفا عليهما الأنصار، بالطبع الموهوب والذوق الناقد. فلكل منهما فى كل قهوة رقيب ورفيق، وفى كل صحيفة عدو وصديق، وفى كل ناد مكبر ومنافس؛ ولأن الوادى قد أخذت منذ حين تفتح لأدب الشباب (محضراً) فى كل أسبوع، وقد تطوع للشهادة له وعليه أساتذة النقد فى الجهاد والبلاغ. وكانت الحملة عنيفة على صاحبى الديوانين لحظهما الوافر من الاجادة ومحلهما الرفيع من الفن، فكابد الشاعر الطبيب مبضع العقاد، وقاسى الشاعر المهندس معول المازنى. وكان الدفاع عنهما ألكن الحجة أرعن الدليل، لصرفه الجهد فى رد المآخذ، ولو عنى بتبيين المحاسن كما عنى بتحسين المساوئ لأخفى ما ظهر تحت مجهر النقد من ضئال العيوب فى بهر الجمال وروعة الصنعة. ولكل عمل من أعمال الناس جهة

للمدح وجهة للذم لا تتشابهان على ناظر . والنقد صناعة دقيقة لا يحسنها فى الغالب إلا شيوخ الأدب ، لأنهم استكملوا عدتها ، واكتسبوا ملكتها بادمان الدرس وطول المران وكثرة التجربة ، فرد مآخذهم اذا برئت من الشطط والاعتساف يكون فى الكثير الغالب من وراء القدرة الشابة .

***

كان أسلوب النقد ولاشك مشوباً بصلف الأستاذية ، وعنت الحزازة ، وعبث التهكم . وحجة النقاد أنهم بالطبيعة أولياء الفن ، وأمناء هيكله ، وأصحاب اذنه ، فلا يجمل بهم أن يدخلوا فيه من لا يثبت معدنه على شدة السبك ، ويخلص جوهره على تقصّى النظر ؛ وأن الأدب أعسر من أن يُنال بالدعوى العريضة ، والدعاية المريضة ، والأساليب الملفقة .

وكان طبيعيا أن يأنف الشباب من هذه اللهجة ، ويألموا من هذه الشدة ، ويزعموا أن هناك ائتماراً بهم وإنكاراً لأدبهم ، فيسوء ظنهم بالنقد ، وتفيض مجالسهم بالشكوى ، ويقابلوا الأستاذية بالتمرد ، والحزازة بالعناد ، والتهكم بالحنق ، ويبسطوا الأمر على أنه نزاع بين أدبين : قديم يشتهيه الموت ، وجديد تبتغيه الحياة ، وتنفرج الحال أخيراً بين جيلين مقامُ الأول من الثانى مقام المدرب المشفق ، والمرشد الناصح ، والدليل المجرب .

* * *

إن شيوخ الأدب وشبابه انما يصطنعون أدوات واحدة ، ويعالجون موضوعات متقاربة ، وينتجون نتائج متشابهة . فتاريخ الأدب يوم يكتب عن هذه الفترة لا يجد للشباب أسلوباً خاصا يسجله ، ولا مذهباً جديداً يحلله ، ولا أثراً مستقلاً يشرحه ويعلله . انما هى مطامح الفتوة الى المثل الذى توحيه الطبيعة ، وتقتضيه الفطرة ، ويلهمه الاطلاع ، تحاول همتهم الوثابة أن تدنيهم منه فيقعد بهم عجز الوسيلة ونقص العدة

وليس يسوغ فى العقل أن يُعد التسامح فى اللغة والتساهل فى الأسلوب والتجاوز عن القواعد ميزة ، فان بأس الشباب لم ينكسر أمام الشيوخ إلا فى هذه الناحية .

والحق ان المسارعة الى الانتاج العام قبل استكمال وسائله الأولى غميزة بينة فى أدب الجيل الحديث . فان الالمام باللغات الأجنبية ، والوقوف على قواعد الفن الأوربية ، لا يجعلان المرء كاتباً فى العربية ما لم يدرس هذه اللغة دراسة قوية تزدها طيعة لقامه ، لينة على لسانه ، والاعتماد فى اكتساب الأدب على محاكاة النماذج وتقليد المثُل لا يقوم عليه فن ثابت ، ولا ينهض به فنان معدود . وما كان المثل ليغنى عن القاعدة وهو لا يضىء إلا ناحية من الطريق ، والقريحة نفسها ، وهى غريزة الأدب والفن فى الانسان ، ليست من الكمال اليوم بحيث تَجْزِى عن القواعد ؛ كذلك الذوق وهو أداة الجمال كما أن العقل أداة الحق ، لا يمكن أن يكون طريقاً مأمونة الى عمل أدبى صحيح . فانه موهبة طبيعية تختلف فى الناس وفى الأجناس ، وتحتاج الى المران بالدرس والعادة ، وليس لها ما للعقل من سلطان واطمئنان وثبوت ؛ وانك لتجد عقلاً مطلقاً مستقلاً لا يختلف ولا يتغير ، لأن هناك حقيقة مستقلة تميز بالوضوح والجلاء ، ولكنك لا تجد مهما استقريت واستقصيت ذلك الذوق المطلق المستقل الذى لا يختلف باختلاف الألوان والأزمان والأمكنة . أما القواعد فهى نتيجة التجارب وخلاصة الملاحظات على طول القرون . وضعتها القرائح المنطقية المتعاقبة بعد أن فقهت أصول الأشياء ، ودرست علائق هذه الأصول ، واستخلصت نتائج هذه العلائق ، ثم صاغت هذه النتائج قواعد وقالت لك إنها أمثل الطرق لاحسان العمل دون أن تُخضع عبقريتك اليها ، ولا أن تسمح لهواك بالخروج عليها ، فان بين الاستبداد والفوضى نظاماً أحق أن يؤثر ويتبع .

* * *

وبعد ، فان الفنان والناقد انما يتعاونان على فهم الجمال ، كما يتعاون القاضى والمحامى على فهم العدل ، فليس من الخير لأحدهما أن يكون مع الآخر على حد منْكِب ؛ وان الأدب الشيخ والأدب الشاب ليتعاونان على قيادة النفس ، كما يتعاون البصر والجناحان على قيادة الطائر . فليس من خير أحدهما أن يكون من الآخر على قطيعة

والأدب الرفيع من بعد ذلك كله صلة المرء بربه ، ينفى الأذى عن لسانه ويذهب الغل عن قلبه

احمد حسن الزيات

ديمقراطيـــة الطبيعة

للأستاذ احمد أمين

يعجبني البحر في جماله وبهائه ، وجلاله ولانهايته ، ويعجبني كذلك في ديمقراطيته ، فهو لا يسمح لأحد أن ينغمس في مائه إلا اذا تجرد من كل المظاهر الكاذبة التي خلقتها المدنية ، يجب أن يتجرد أولاً من ملابسه التي تميز بين الغني والفقير ، ومن ريائه ونفاقه ومظاهره التي اصطنعها ليجعل من الناس طبقات يتحكم بعضها في بعض . ففي البحر تتساوى الرءوس ، لا غنيّ ولا فقير ، ولا ذو جاه ولا عديم الجاه ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا حاكم ولا محكوم ، لايتميزون بشيء إلا بلباس البحر ، وفي الحقيقة ليس هو لباس البحر ، وإنما هو لباس البر ، فليس للبحر لباس إلا ماؤه . ودليل أنه لباس البر أن الناس حاولوا به أن يتميز بعضهم من بعض ، واتخذوا منه شعاراً للغني والأناقة واللباقة والوجاهة ، والبحر لا يعرف شيئاً من ذلك ، إنما يعرف ذلك البر ، ومن أجل هذا سرعان ما ينغمس الناس في البحر ، فيسدل بمائه الأزرق الجميل ستاراً على كل أثواب الرياء حتى لا ترى بعد إلا رءوساً عارية لا يميز بينها شيء من الصنعة ، ثم هو يرسل أمواجه تداعب الناس على السواء ، فتغازل الأسود كما تغازل الأبيض ، وتصفع الجميل كما تصفع القبيح ، وتعبث بلحية العالم ، كما تلعب برأس الجاهل ، وأحياناً يهيج هائجه ، وتثور حفيظته ، فيزفر من الغضب ، حتى ليكاد يخرج من إهابه ، ويطفر من ثيابه ، ويربدّ وجهه فيلفظ بالزبد ، وينتفخ ويرتعـد ، ويرقص من غير طرب ؛ وهو في هذه الحال لا ينسى ديمقراطيتـه ، يأتي للباخرة الضخمة قد أخذت زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليه فيبتلعها في لحظة ، لا تغني عنه محصنات العلم القديم ولا الحديث ، كما يبتلع أحياناً صبياً وديعاً وشيخاً ضعيفا ، ليبرهن أنه لا يعبأ بقوة ولا ضعف ، ولا يخشى بأس كميّ ، ولا يرحم ضعف أعزل ، سواء هو في هزله وجده ، وسواء هو في حلمه وغضبه — ما أجمل البحر ، وما أجله ، وما ألطفه ، وما أقساه !

على أنه يظهر لي أن الطبيعة في جملتها ديمقراطية لا أرستقراطية ، ولا أرستقراطية إلا في الانسان الكاذب ، فالشمس ترسل أشعتها الذهبية ، والقمر أشعته الفضية ، على الناس سواء : على المؤمن والكافر ، والأسود والأبيض ، والغنيّ والفقير ، والكوخ الحقير ، والقصر الكبير .

ويأتي الجو بريح سموم فتلفح وجوه الناس على السواء ، لا تميز عظيماً ولا حقيرا ، ولا شريفاً ولا وضيعا ؛ ثم يأتي بريح طيبة تنعش الناس كذلك ، لا يعرف في شيء من ذلك محاباة ، ولا يعرف طبقات ، ولا يعرف أي نوع من أنواع التفاوت التي تواضع عليها الناس ، يرسل في الصيف شواظاً من نار فيدخل على الأمير في قصره ، وعلى الفقير في كوخه ، فلا يهاب عظيما ، ولا يحتقر وضيعا ، ويرسل في الشتاء برده القارس فلا يستطيع أن يتقيه الغني بصوفه وملابسه ، ولا بمدفأته وناره ؛ كما لا يتقيه الفقير في عدمه وبؤسه ؛ ثم تطلع شمس جميلة ، ويعتدلُ الجو ، فتحتضن الطبيعة الناس على السواء وتكون لهم جميعا أمّاً حنونا ، مشفقة بارة — إن تحدث الباشا أو البيك في نفسه بأنه فوق طبقات العامة ، وأنه يستطيع في شرع العرف والعادة أن ينعم بما لم ينعموا ، فتُفسح له الطريق ، ويخلى له السبيل ، وتفتح له أبواب المجتمعات ، ويعامل أولاده وأقاربه بما لا يعامل به الفقراء ، فلن تحدثه نفسه أن يمتاز من الفقير في حر ولا برد ، ولا نور ولا ظلام ، فان أخطأ في ذلك وظن أنه يغالب الطبيعة في شيء من قوانينها صفعته صفعة آمن بعدها بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وأدرك أنه إن علا الناس بماله أو جاهه ، وإن تلاعب بأوضاع الناس لسخف الناس ، فهو أمام أوضاع الطبيعة حقير ذليل .

***

ثم يأتي القدر فينـثر نعمه ونقمه ، وشره وخيره على الناس جميعا ، فصحة في الأغنياء والفقراء ، ومرض في الأغنياء والفقراء . وتجد غنياً فاتر القوى منقوف الوجه ، يبيت يتضور من الألم ، يود لو خرج عن كل ماله وجاهه لتعود اليه صحته ، وبجانبه فقير مستحكم الخلقة ، متين البنية ، ممتلئ قوة وشدة وصلابة — وتجد جمالاً في الأغنياء والفقراء ، وقبحاً في الأغنياء والفقراء ، فهـذه

فقيرة مشرقة الجبين ، صافية الأديم ، مفرطة الجمال ، معتدلة القوام ، لا تفتح العين على أجمل منها صورة ، ولا أتم منها حسنا ؛ وهذه سيدتها الغنية دميمة الخلقة ، منكرة الطلعة ، تنبو عن منظرها الأحداق ، وتتفادى من مرآها الأبصار ، تريد أن تتجمل بالصناعة والأصباغ والحلى والملابس ، فلا يزيدها ذلك كله إلا قبحا ، على حين أن جارتها الفقيرة جميلة فى طبيعتها ، جميلة فى بساطتها ، جميلة حتى فى ثيابها المهلهلة !

وللقدر فى ذلك بِدَع ، فأشهر طبيب فى القلب يموت بالقلب ، وأعظم جراح يموت بالتسمم . وتلد الفلاحة الفقيرة فى الطريق وهى حاملة قدرتها مملوءة ماء على رأسها ، ثم يقطع « الخلاص » وتحمل طفلها وتذهب الى بيتها سالمة غانمة ؛ وسيدتها الغنية يحلل دمها وغير دمها قبل الوضع ، ويعقم كل شيء فى حجرة ولادتها ، ويقف مشاهير الطبيبات والأطباء على بابها ، حتى اذا آذنت ساعة الولادة بالقدوم استخدم كل ما وصل اليه الطب الحديث ، والكيمياء الحديثة ، والعلم الحديث ، وأمعنت جمهرة الأطباء فى التطهير والنظافة واتخاذ وسائل الراحة والحصانة ، وغير ذلك مما لم أذكر منه إلا قليلا ؛ ثم هى بعدُ تصيبها حمى النفاس ، ويقف الطب والعلم دهشاً حائرا ، ثم تسلم الروح الى ربها ، هازئاً بكل ذلك القدر .

***

وهناك نوع من الارستقراطية غريب ، هو الارستقراطية العلمية ، فالمتعلمون ذوو الشهادات يعدون أنفسهم — وربما عدهم الناس أيضاً — نوعا ممتازاً من الناس ، يختلفون عنهم نوعا من الاختلاف ، ويرتفعون عليهم نوعا من الرفعة ، كما ترتفع طبقة الأغنياء وكما ترتفع طبقة الأمراء ، فالمتعلم ينظر الى أخيه الشقيق الجاهل نظرة فيها شيء من التعاظم ، وشيء من الازدراء ، وشيء من الغرور ، وان ساواه فى الدم ، وان ساواه فى الغنى أو الفقر ، وهو لغروره يظن أن شهادته تخوله الحق أن تكون آراؤه فى كل شيء خير الآراء ، وأن غير الجامعى لا يحق له أن يبدى رأياً بجانب رأيه ، حتى فيما ليس له اختصاص فيه

وهو كذلك نوع من الارستقراطية الكاذبة لا تعبأ بها الطبيعة ولا تعيرها أى التفات ، فقد جعلتْ بين المتعلمين أذكياء وأغبياء ، وجعلت بين الأميين أذكياء وأغبياء ، بل من غرور المتعلمين أن يسموا من لم يقرأ ولا يكتب جاهلاً وأمياً ونحو ذلك من الأسماء ، ويسموا من يقرأ ويكتب متعلماً ، كأن وسيلة العلم والحكمة والعقل القراءة والكتابة وحدها ، ونحن لو نحينا غرور المتعلمين جانباً لهزئنا بالقراءة والكتابة فى كثير من الأحيان ، ولوجدناها وسيلة من وسائل الرقى ، ولكن بجانبهما وسائل أخرى ، ولوجدنا أنهما لا تستحقان هذا الغرور الذى ينشئ نوعا من الارستقراطية ، فالحكمة فى تصريف الأمور لا تعتمد على التعليم الجامعى ، وسعة العلم كما تعتمد على الفطرة البشرية ، والغريزة الانسانية . ومن ثم قد ترى الجامعى الحائز لأرقى الشهادات العلمية وهو أخرق فى الحياة ، سفيه فى التصرف ، وأخاه الذى يسمونه جاهلاً أمياً حكيماً فى تصرفه مدبراً لشؤونه وشؤون اخوته الجامعيين ، وترى الأمة قد تصاب على يد متعلميها فى أحوالها السياسية والاجتماعية أكثر مما تصاب على يد جاهليها ، والفلاح القروى الأمى قد يرزق من الحزم فى تصريفه ، وبعد النظر فى آرائه ، وصدق الشعور فى وطنيته ، مالا يرزقه أخوه الأستاذ فى الجامعة أو العالم الحائز لأرقى الدرجات العلمية ، بل قد يصدر من الرأى العام الجاهل فى شؤون وطنه ، وفى المسائل الهامة التى تعرض عليه ما يفوق رأى متفلسفة المشرعين ، وحيل القانونيين

ان نظرنا الى الذكاء ، فالذكاء مشاع بين المتعلم والجاهل ، وان نظرنا الى حكمة التصرف ، والحزم فى ادارة الأمور ، وتدبير شؤون الحياة ، فذلك أيضاً أمر مشاع بين الناس ، ففيم غرور المتعلمين وانشاؤهم أرستقراطية بجانب ارستقراطية الأموال والأعمال والطبقات . يطالبون أن يكال لهم المال جزافا ، ويطالبون ألا يهينوا أنفسهم فى عمل ، ويطالبون أن يكون ميراثهم من آبائهم أكبر نصيب ، ويطالبون أن يكون زبدة ما تخرجه الأمة لهم وحثالته لما يسمونه الجاهلين

ما أسعد الأمة تخفف من غلوها فى ارستقراطيتها ، بجميع أنواعها ، وتقلد الطبيعة فى ديمقراطيتها واعتدالها ؟

أحمد أمين

موت أم

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

رجعت من الجنازة بعد أن غبّرت قدميّ ساعة في الطريق التي ترابها تراب وأشعة ، وكانت في النعش لؤلؤة آدمية محطّمة هي زوجة صديق طحطحتها الأمراض ففرّقتها بين علل الموت ، وكان قلبها يحييها فأخذ يهلكها ، حتى إذا دنا أن يقضيَ عليها رحمها الله فقضى فيها قضاءه . ومن ذا الذي مات له مريض بالقلب ولم يره من قلبه في علته كالعصفورة التي تهتلك تحت عيني ثعبان سلط عليها سموم عينيه !

كانت المسكينة في الخامسة والعشرين من سنها ، أما قلبها ففي الثمانين أو فوق ذلك ؛ هي في سن الشباب وهو متهدّم في سن الموت .

وكانت فاضلة تقية صالحة ، لم تتعلم ولكن علمّها التقوى والفضيلة . وأكمل النساء عندي ليست هي التي ملأت عينيها من الكتب فهي تنظر الى الحياة نظرات تحلّ مشاكل وتخلق مشاكل ؛ ولكنها تلك التي تنظر الى الدنيا بعين متلألئة بنور الايمان تقرّ في كل شيء معناه السماوي فتؤمن بأحزانها وأفراحها معاً ، وتأخذ ما تُعطى من يد خالقها ، رحمة معروفة أو رحمة مجهولة . هذه عندي تسمى امرأة ، ومعناها المعبد القدسي ؛ وتكون الزوجة ، ومعناها القوة المسعِدة ؛ وتصير الأمّ ، ومعناها التكملة الالهية لصغارها وزوجها ونفسها .

ومهما تبلغ المرأة من العلم فالرجل أعظم منها بأنه رجل ، ولكن المرأة حقّ المرأة هي تلك التي خُلقت لتكون للرجل مادةَ الفضيلة والصبر والايمان ، فتكون له وحياً وإلهاماً وعزاء وقوة ، أي زيادة في سروره ونقصاً من آلامه .

ولن تكون المرأة في الحياة أعظم من الرجل إلا بشيء واحد هو صفاتها التي تجعل رجلها أعظم منها .

***

ومشيتُ من البيت الذي ألبسته الميتةُ معنى القبر — إلى القبر الذي ألبسَ الميتةَ معنى البيت . وأنا منذ مشيت في جنازة أمي — رحمها الله — لا أسير في هذه الطريق مع الأحياء ، ولكن مع الموتى ، فأتبع صديقاً ليس رجلاً ولا امرأة لأنه من غير هذه الدنيا ، وأمشي في ساعة ليست ستين دقيقة لأنها خرجت من الزمن ، ولا أرى الطريق من طرق الحياة لأنني في صحبة ميت ؛ وتصبح للأرض في رأيي جغرافية أخرى تَعمى الناس عنها لشدة وضوحها ، كالألوهية خفيت من شدة ما ظهرت .

يقولون : إن ثلاثة أرباع الأرض يغمرها البحر . أما أنا فأرى في تلك الساعة أن ثلاثة أرباع الأرض لا يغمرها البحر الذي وصفوا ، ولكن خِضمّ آخر زخّار متضرب ، هو ذلك البحر الترابي العظيم المسمى « المقبرة » .

يقولون : ان الحياة هي ... هي ماذا ، ويحكم أيها المغرورون؛ أفلا ترون هذه الصلة الدائمة بين بطن الأم وبطن الأرض ؟

***

لعمري كيف تجعل هذه الحياة للناس قلوباً مع قلوبهم ، فيحس المرء بقلب ، ويعمل بقلب آخر ؛ يعتقد ضرر الكذب ويكذب ، ويعرف مَعرَّة الاثم ويأثم ، ويوقن بعاقبة الخيانة ثم يخون ؛ ويمضي في العمر منتهياً الى ربه — ما في ذلك شك — ولكنه في الطريق لا يعمل إلا عمل من قد فرّ من ربه ...

هبت الريح في السحر على روضة غناء فطابت لها ، فعقدت عُقدتها أن تتخذ لها بيتاً في ذلك المكان الطيب لتقيم فيه . . . يا لها حكمة من التدبير ! تزعم الريح الاقامة على حين كلُّ وجودها هو لحظة مرورها ، وتحلم بالقرار في البيت وهي لا تملك بطبيعتها أن تقف .

يا لها حكمة سامية ! لا يسكنها من المعنى إلا أسخفُ ما في الحُمق !

***

همد الحي وانطفأت عيناه ، ولكنه تحرك في تاريخه مما ضيق على نفسه أو وسّع ، وأصبح ينظر بعين من عمله إما مبصرة أو كالعمياء ؛ فلو تكلم يصف الحياة الدنيا لقال : ان هذه النجوم على الأرض مصابيح مأتم أقيم بليل . وما أعجب أن يجلس أهل المأتم في المأتم ليضحكوا ويلعبوا !

ولو نطق الموتى لقالوا : أيها الأحياء ، ان هذا الحاضر الذي

يمر فيكون ماضيكم فى الدنيا هو بعينه الذى يكون مستقبلكم فى الآخرة ، لا تزيدون فيه ولا تنقصون . وإن الدنيا تبدأ عندكم من الأعلى الى الأدنى ، من العظماء الى الفقراء ؛ ولكنها تنقلب فى الآخرة فتبدأ من الفقراء الى العظماء ؛ وأنتم ترسمونها بخطوط المطامع والحظوظ ، ويرسمها الله بخطوط الحرمان والمجاهدة . ان التام على الأرض من تم بمتاعها ولذاتها ، ولكن التام فى السماء من تم بنفسه وحدها .

* * *

يا أسفا ! لن يقول الميت للحى شيئا ، ومن يدرى ؟ لعلنا ونحن نلحد للموتى وننزلهم فى قبورهم يرون بأرواحهم الخالدة أننا نحن موتاهم المساكين ، وأننا مدفونون فى القبر الذى يسمونه « الكرة الأرضية » ! وهل الكرة الأرضية من اللانهاية إلا حفرةٌ برجل نملة لتُدْفَن فيها نملة . . .

الحياة . أتريد أن تعرفها على حقيقتها ؟ هى المبهمات الكثيرة التى ليس لها فى الآخر إلا تفسير واحدٌ : حلال أو حرام .

* * *

ورجعنا مع الصديق الى بيته ، وله خمسة أطفال صغار لو أنهم هم الذين انتُزعوا من أمهم لترك كل واحد على قلبها مثل المِكْواة المحمى عليها فى النار الى أن تحمّر . ولكن أمهم هى التى نزعت منهم ، فكان بقاؤهم فى الحياة تخفيفاً لسَكْرة الموت عليها . وغشيتها الغشية فماتت وهى تضحك ، إذ تراهم نائمين تحت جناح الرحمة الالهية الممدود ، وقالت : إنها تسمع أحلامهم ، وكانوا همْ عقلَها فى ساعة الموت !

تبارك الذى جعل فى قلب الأم دنيا من خَلْقه هو ، ودنيا من خَلْق أولادها !

تبارك الذى أثاب الأم ثواب ما تعانى ، فجعل فرحَها صورة كبيرة من فرح صغارها !

* * *

وجاء أكبر الأطفال الخمسة وكأنه ثمانية أرطال من الحياة ، لا ثمانية أعوام من العمر ؛ جاء الينا كما يجئ الفزع لقلوب مطمئنة ، إذ كان فى عينيه الباكيتين معني فقدم الأم !

وطفت عليه الدموع فتناول منديله ومسحها بيده الصغيرة ،

ولكن زوحه اليتيمة تأبى إلا أن ترسم بهذه الدموع على وجهه معانىَ يُتْمِها !

وظهر الانكسار فى وجهه يعبّر ببلاغة أنه قد أحس حقيقة ضعفه وطفولته بازاء المصيبة التى نزلت به ؛ وجلس مستسلماً تترجم هيئته معانىَ هذه الكلمة : « رفقاً بى ! »

ثم تطير من عينيه نظرات فى الهواء كأنما يحس أن أمه حوله فى الجو ولكنه لا يراها .

ثم يرخى عينيه فى إغماضة خفيفة كأنما يرجو أن يرى أمه فى طَوِيّته .

ولا يصدق أنها ماتت ؛ فان صوتها حى فى أذنيه لا يزال يسمعه من أمس .

ثم يعود الى وجهه الانكسار والاستسلام ، ويتململ فى مجلسه فينطق جسمه كله بهذه الكلمة : « يا أمى ! »

* * *

أحس — ولا ريب — أنه بِمَضْيعةٍ حدودها الحياة ، لأن الوجود كان أمّه .

ولمس خشونة الدنيا منذ الساعة ، بعد أن فقد الصدر الذى فيه وحده لين الحياة ، لأن فيه قلب أمه وروحها .

وشعر بالذل ينساب الى قلبه الصغير لأن تلك التى كان يملك فيها حق الرحمة قد أخذت منه وتركته بلا حقٍّ فى أحد ، وليس لأحدٍ أمّان .

ولبسته المسكنة لأن له شيئاً عزيزاً أصبح وراء الزمان فلن يصل اليه .

ولبسته المسكنة لأنه صار وحده فى المكان ، كما هو وحده فى الزمان .

وارتسم على وجهه التعجب ، كأنه يسأل نفسه : « اذا لم تكن أمى هنا ، فلماذا أنا هنا ؟ ! »

ثم تغرغرت عيناه فيخرج منديله ويمسح دمعه بيده الصغيرة ، ولكن روحه اليتيمة تأبى الا أن ترسم بهذه الدموع على وجهه معانىَ يُتْمِها !

* * *

ونهض الصغير ولم ينطق بذات شَفَة . نهض يحمل رجولته التى بدأت منذ الساعة .

في تاريخ القضاء في مصر الاسلامية

صور من استقلال القضاء
وصور من خضوعه

للأستاذ محمد عبد الله عنان

لم تعرف نظرية فصل السلطات الحديثة كثيراً فى العصور الوسطى ، ولم تطبق بالأخص فى ظل الأنظمة المطلقة التى سادت فى تلك العصور ، فالسلطات الثلاث ، التشريعية والقضائية والتنفيذية التى تقوم الدولة الحديثة على مبدإ الفصل بينها ، كانت تجتمع فى ظل الأنظمة المطلقة فى نفس اليد العليا التى تتصرف فى سائر الشئون العامة . ولم تشذ الدول الاسلامية عن هذه القاعدة ، فقد كان الخليفة أو السلطان أو الأمير يجمع فى شخصه كل السلطات ويزاولها مجتمعة أو منفردة على يد عماله . نعم كان هنالك توزيع للسلطات ، ولكن نظرى محض ، فقد كانت اصول التشريع قائمة تعدل وتفسر فى ظل الدول المختلفة طبقاً لمختلف النزعات المذهبية والسياسية ، وكان للقضاء جهة خاصة يعمل فى دائرتها ، وكان الوزراء ومن اليهم من الكتاب والعمال يمثلون الناحية التنفيذية : ولكن هذه الجهات الثلاث التى تقابل السلطات الثلاث فى الدولة الحديثة كانت تمتزج دائماً من الوجهة العملية ، وتخضع دائماً سواء منفردة أو مجتمعة لرأى الخليفة أو السلطان أو الأمير ؛ وكان هذا الرأى دائماً فوق كل قانون وقضاء ونظام ، وان كان فى معظم الأحيان يلتمس له ظاهر من القانون أو النظام

وكان القضاء كالسلطة التنفيذية دائماً عرضة للتأثير والتدخل ولكن السلطة العليا كانت تؤثر ، فى معظم الأحيان ، أن تبدو فى الظاهر محترمة لرأى القضاء بعيدة عن التأثير فى سير العدالة . ذلك أن القضاء كان يتشح دائماً بثوب الدين ، ويستمد سلطانه من كتاب الله وسنة رسوله ، فكان التدخل المرغوب كثيراً ما يحمل طابع التفسير لنص من النصوص . وكان القضاة اعوان السلطان قبل أن يكونوا أعوانا للعدالة ، وتقدير استقلال القضاء وحريته يرجع قبل كل شىء إلى السلطان : وقد كان ثمة خلفاء وسلاطين يقدرون استقلال القضاء ، وينحنون أمام كلمته ؛ وكان ثمة قضاة أقوياء النفس والجنان يتمسكون برأيهم وسلطتهم فى الحكم ، ويأنفون من التدخل والتأثير . وهناك أمثلة كثيرة فى التاريخ الاسلامى تؤيد هذه الحقيقة نورد بعضها فى هذا الفصل ، وهى مما يتعلق بتاريخ القضاء فى مصر الاسلامية .

كان من قضاة مصر فى أوائل القرن الثالث الهجرى ، الحارث ابن مسكين ، ولى قضاء مصر الأعلى من قبل الخليفة المتوكل سنة ٢٣٧ هـ . ويصف لنا الكندى مؤرخ قضاة مصر حتى منتصف القرن الرابع ، شخصية الحارث بن مسكين وطريقته فى الحكم ، نقلاً عن ابن قديد ، وهو فقيه ومحدث مصرى عاصر الحارث وعرفه . كان الحارث شخصية غريبة قوية ، وكان شديد الحرص على حريته واستقلاله ، وكان مقعداً ، يركب حماراً مبرقعاً ، ويحمل فى محفة الى مجلس الحكم بالمسجد الجامع (جامع عمرو) ؛ وكان صارماً شديد الوطأة جريئاً فى أحكامه يأبى تلقى الولاة والسلام عليهم . وطلب إليه أن يلبس السواد ، وهو شعار بنى العباس فأبى حتى انتهى بعض أصحابه باقناعه بأنه اذا لم يرتد السواد اتهم بالانحراف عن بنى العباس والميل الى بنى أمية ، فارتدى عندئذ كساء أسود من الصوف . وكان كثير الاجتهاد والابتكار فى اجراءاته وأحكامه . ويورد لنا الكندى طرفا من هذه الأجراءات والأحكام ، ويذكر لنا كيف أن الحارث بن مسكين آثر الاستقالة على قبول التدخل فى أحكامه . وذلك أنه رفع اليه نزاع على ملكية دار الفيل ، وهى

انتهت — أيها الطفل المسكين — أيامك من الأم ؛ هذه الأيام السعيدة التى كنت تعرف الغد فيها قبل أن يأتى معرفتك أمس الذى مضى ، اذ يأتى الغد ومعك أمك .

وبدأت — أيها الطفل المسكين — أيامك من الزمن ، وسيأتى كل غد محجَّباً مرهوبا ؛ إذ يأتى لك وحدك ، ويأتى وأنت وحدك !

الأم ؟ يا إلهى ، أىّ صغير على الأرض يجد كفايته من الروح إلا فى الأم ؟ !

مصطفى صادق الرافعى

إحدى دور الفسطاط الشهيرة ، وكانت لأبي عثمان مولى الصحابى مسلمة بني مخلد الأنصارى ؛ وكان قد قضى فى شأنها قبل الحارث عدة من قضاة مصر ، فقضى فيها أولاً هرون بن عبد الله بأخراج بنى البنات من العقب باعتبار أن لاحق لهم فى الميراث ؛ ولكن خلفه محمد بن أبي الليث قضى بالغاء هذا الحكم ، وحكم لبنى السائح المدعين بنصيبهم فى الدار ؛ فلما رفع النزاع مرة أخرى إلى الحارث ابن مسكين ، فسخ حكم ابن أبي الليث ، وقضى بأخراج بنى السائح من الميراث ، فسافر ابن السائح إلى بغداد ، ورفع إلى الخليفة المتوكل تظلما من حكم الحارث والتماساً بأعادة النظر فى قضيته ، فأحال المتوكل القضية إلى الفقهاء ، فحكموا فيها على مذهب الكوفيين ، وقضوا بالغاء الحكم ، وكان حكم الحارث على مذهب المدنيين . فلما بلغ الحارث ما وقع ، كتب فى الحال إلى المتوكل يرفع إليه إستقالته من منصبه ؛ وقدر المتوكل دقة الموقف فقبل الاستقالة ، وكتب وزيره إلى الحارث بقبولها فيما يأتى : «ان كتابك وصل باستعفائك فيما تقلدت بأمر القضاء بمصر ، وأمر (أمير المؤمنين) ايده الله باجابتك إلى ذلك . استعافا لك مما سألت ، وتفضلاً لما أدى إلى موافقتك فيه ، فرأيك أبقاك الله فى معرفة ذلك والعمل بحسبه» وغادر الحارث بن مسكين منصبه سنة ٢٤٥ هـ ، وضرب باستقالته مثلاً قوياً فى الكرامة والاستقلال بالرأى والحرص على حرمة القضاء وقدسه (١)

* * *

ولما تولى المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون قضاء المالكية بمصر سنة ٧٨٦ هـ فى عهد الظاهر برقوق ، أبدى فى تصرفاته وأحكامه تمسكا شديداً بالرأى ، وإعراضاً قوياً عن كل مؤثر وشفاعة ، خلافاً لما كانت عليه أحوال القضاء يومئذ ، وكان المؤرخ الفيلسوف يسبق عصره بمراحل فى فهم استقلال القضاء ووجوب صونه عن كل مؤثر ؛ ولكن صرامته فى تطبيق هذا المبدأ أثارت عليه عاصفة من الحقد والسعاية ؛ ويقول لنا ابن خلدون فى هذا الموطن فى «تعريفه» كلاماً طويلاً عما كان يسود القضاء المصرى يومئذ من فساد واضطراب ، وما يطبع الأحكام من غرض وهوى ، وعما كان عليه معظم القضاة والكتاب والشهود من جهل وفساد فى الذمة ، وانه حاول إقامة العدل الصارم المنزه عن كل شائبة ، وقمع الفساد بحزم وشدة ، وسحق كل سعاية وغرض يقول : «فقمت بما دفع إلى من ذلك المقام المحمود ، ووفيت جهدى بما أمننى عليه من أحكام الله ، لا تأخذنى فى الله لومة ، ولا يرغبني عنه جاه ولا سطوة ، مسوياً بين الخصمين آخذ الحق الضعيف من الحكمين ، معرضاً عن الشفاعات والوسائل من الجانبين (١)»

وهذا تصوير قوى لاستقلال القضاء لايتفق كثيراً مع روح العصر ، ولكن يتفق مع شخصية الفيلسوف القوية ، ومع ثقته بنفسه ، وسموه برأيه . وقد انتهت العاصفة التى أثارها عليه خصومه باستقالته أو اقالته من منصب القضاء لعام ونقط من توليته ، وينسب خصوم الفيلسوف تخليه عن منصب القضاء ، لأسباب غير استقلاله برأيه ونزاهته فى أحكامه ، ولكن مؤرخاً مصرياً كبيراً قريباً من عصره هو أبو المحاسن بن تغرى بردى يقر الفيلسوف على تعليله ، ويقول لنا مشيراً الى ولايته للقضاء : «فباشره بحرمة وافية وعظمة زايدة ، وحمدت سيرته ، ودفع رسائل أكابر الدولة ، وشفاعات الأعيان . . .» (٢)

* * *

على أن فهم استقلال القضاء على هذا النحو كان من الأمور النادرة فى تلك العصور . وكان مرجعه شخصية القضاة أنفسهم ، وليس روح العصر أو نظمه . وقد كانت القاعدة العامة كما قدمنا أنه لا استقلال للقضاء إلا فى حدود رأى السلطة العليا وهواها ؛ وكان خضوع القضاء لرأى هذه السلطة ووحيها يبدو بنوع خاص فى بعض القضايا الجنائية الهامة التى تريد السلطة العليا أن تسبغ فيها لون القانون والعدالة على قصاص أو انتقام ترى اجراءه ، أو القضايا المدنية الهامة التى يراد فيها اغتيال مال وثروات يطمع فيها باسم الشريعة وقضائها . وكثيراً ما كانت السلطة العليا تغفل فى اجراءاتها وأعمالها هذه الصبغة الشرعية ، ولكنها كانت فى أحيان كثيرة ترى من حسن السياسة ألا تحمل

---

(١) راجع كتاب القضاة الذين ولوا مصر (أو تسمية قضاة مصر) لأبي عمر الكندى (طبعة المستشرق جوتهيل) ص ١٤٢ — ١٤٨ .

(١) كتاب العبر — ج ٧ ص ٤٥٣ و٤٥٤ — وراجع كتابى «ابن خلدون» ص ٧١ و٧٢

(٢) المنهل الصافى (مخطوط) ج ٢ ص ٣٠١

مسئولية القصاص أو الانتقام أو مصادرة الأموال ، وأن ترد هذه المسئولية إلى القضاء ، وهو فى نظرها ورأيها أداة من أدوات التنفيذ التى تسيطر عليها وتسيرها طبقاً لمصالحها وأهوائها

وإذا كنا لانستطيع أن نظفر فى تاريخ القضاء فى تلك العصور بأمثلة كثيرة لتطبيق مبدأ استقلال القضاء ، فانا نستطيع أن نظفر بالعكس بكثير من الأدلة والوقائع على خضوع القضاء للسلطة العليا أياكانت وتبعيته لها وتوقفه على ارادتها وهواها . ونكتفى بأن نورد لتأييد هذه الحقيقة مثلاً واحداً من تاريخ القضاء فى أوائل القرن التاسع الهجرى ، نقله إلينا المقريزى وهو من معاصريه وشهوده . وخلاصته أنه فى عهد الناصر فرج سلطان مصر ، أنشأ الأمير جمال الدين الاستادار مدرسة عظيمة بالقاهرة ، وأوقف عليها أوقافاً جليلة ، وكان انشاؤها على أرض عليها أبنية موقوفة على بعض الترب ، فاستبدل بها الأمير أرضاً من جملة الأراضى الخراجية بالجيزة ، وحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم بصحة الاستبدال ، وهدم البناء وأقام مكانه المدرسة . ثم نكب الأمير جمال الدين وقتله السلطان ، وحسن له بعض وزرائه أن يستولى على المدرسة وأن يضع اسمه عليها ، فادعى السلطان عندئذ أن الأرض الخراجية المستبدل بها كانت ملكه واغتصبها الأمير جمال الدين دون اذنه ، وحكم له قاضى قضاة المالكية ، بأن بناء المدرسة الذى أقيم على أرض لم يملكها الواقف ، لايصح وقفه ، وأنه باق على ملكية بانيه إلى حين موته ، وعندئذ انتدب الشهود لتقدير قيمة البناء ، فقدر باثنى عشر ألف دينار ، ودفع المبلغ الى أولاد جمال الدين ، وباعوا المدرسة للسلطان ، فصارت ملكه ، ثم أوقف السلطان أرض المدرسة وبناءها بعد أن قضى له قاضى الحنفية بصحة الاستبدال ، وحكم له القضاة الأربعة بصحة هذا الوقف ؛ بعد أن قضوا من قبل بصحة وقف الأمير جمال الدين . فلما قتل الملك الناصر ، وتولى مكانه الملك المؤيد ، تولى الوزارة بعض أصدقاء جمال الدين ، وسعوا لدى السلطان ليرد أملاك جمال الدين المغتصبة الى أخيه وأولاده ، فأجاب السلطان ملتمسهم ، وأحيلت القضية مرة أخرى على القضاة الأربعة ، وعقدت لذلك جلسة مشهودة (سنة ٨١٥ هـ) ، وقضى برد المدرسة واوقافها الى اسم جمال الدين وما نص عليه فى وقفيته ؛ ورد النظر فيها لأخيه ؛ ثم نزع منه النظر بحكم جديد وأعطى لكاتب السر ، وهكذا يقول المقريزى « فكانت قصة هذه المدرسة من أعجب ما سمع به فى تناقض القضاة وحكمهم بأبطال ما صححوه ثم حكمهم بتصحيح ما أبطلوه ، كل ذلك ميلاً مع الجاه ، وحرصاً على بقاء رياستهم ، ستكتب شهادتهم ويسألون » (١)

***

وهذا مثل بارز يصور لنا مبلغ خضوع القضاء للسلطة التنفيذية وتأثره بأهوائها فى تلك العصور ، فلم يكن القضاء يومئذ هو ذلك الملاذ النهائى للحق والحرية ، ولم يك ثمة احترام لما نسميه اليوم بقوة الأحكام النهائية ؛ فما يفتى به اليوم تحقيقاً لرغبة سلطان أو أمير أو وزير ، يفتى غداً بعكسه تحقيقاً لرغبة السلطان الجديد أو وزيره ، ويقضى بهذه الأحكام المتناقضة نفس القضاة فى كل مرة . وما يقوله لنا المقريزى من ان بواعث هذه الحالة كلها ترجع الى ميل القضاة مع الجاه وحرصهم على بقاء رياستهم ، هو أصدق تعليل لهذا الصدع الخطير فى بناء الدولة ونظمها . ونستطيع أن نضيف الى قول المقريزى ، أن هنالك عاملا آخر له قيمته فى خضوع القضاء للسلطة التنفيذية على هذا النحو ، هو أن القضاء الأعلى لم يكن يتمتع فى تلك العصور بما أسبغ عليه فى العصر الحديث من الضمانات الكفيلة باستقلاله وحمايته من تدخل السلطة التنفيذية وانتقامها ، وأهم هذه الضمانات كما هو معروف هو عدم قابلية القضاة الأكابر للعزل أو النقل ، وعدم مسئوليتهم أمام أية سلطة أخرى ؛ ولكن القضاء فى العصور الوسطى لم يكن يعرف مثل هذه الطمأنينة سواء فى الشرق أو فى الغرب ، وكان القاضى يخاطر دائماً بمركزه وجاهه ورزقه وأحياناً بحياته اذا لم يذعن لرأى السلطة التنفيذية وهواها ؛ ولم يكن يستطيع مغالبة هذا التيار الخطر أو تحديه سوى شخصيات قوية جريئة تستهين فى سبيل كرامتها واستقلالها بالخطر ، وهى شخصيات لا يقدم الينا تاريخ القضاء فى تلك العصور منها سوى القليل م؟

محمد عبد الله عنان
المحامى

(١) راجع خطط المقريزى (مصر) ج ٤ ص ٢٥٣ — ٢٥٦

بردى . . .
والتاريخ العربي

للأستاذ علي الطنطاوي

(بردى) سطر من الحكمة الإلهية ، خطته يد الله على صفحة هذا الكون ، ليقرأ فيه الناس ببصائرهم لا بأبصارهم فلسفة الحياة والموت ، وروعة الماضي والمستقبل — وخصّته للأمة العربية ، فجمعت فيه تاريخها الجليل ببلاغة علوية معجزة .

والله الذي جعل الآية المعجزة في القرآن — هو الله الذي جعلها في الأكوان

والله الذي أعجز ملوك القول وأمراء البلاغة ، بسُوَر من آيات وكلمات وحروف ، هو الله الذي أعجز قادة العقل ، وأئمة الفلسفة ، بسور من بحار وأنهار وكهوف .

وما (بردى) إلا سورة من قرآن الكون المعجز البليغ — وليس إعجازه في أنه يجري ؛ ولكن إعجازه في أنه ينطق . وبان في كل شبر منه تاريخ حقبة من العصور ، وتحت كل شبر أنقاض أمة من الأمم : أمة ولدت في حجره ، ورضعت من لبانه ، وحبت بين يديه ، ثم قويت واشتدت ، وبنت فأعلت ، وفتحت فأوغلت . ثم داخلها الغرور ، وحسبت أنها شاركت الله في ملكه ، فظلمت وعتت واستكبرت ؛ فبعث الله عليها نسمة واحدة من وادي العدم ، فاذا هذه العظمة وهذا الجبروت ذكرى ضئيلة في نفس بردى ، وأنقاض هينة في أعماقه ؛ وصفحة أو صفحتان في كتاب التاريخ . وإذا بأمة أخرى تخلفها في أرضها ، وترثها مالها ، ثم يكون سبيلُها سبيلَها : فقام الفنيقيون على أنقاض الحثيين ، والكنعانيون بعد الفنيقيين ، والفرس بعد الكنعانيين ، واليونان بعد الفارسيين ، والروم بعد اليونانيين ، والغساسنة بعد الرومانيين ، والمسلمون بعد الغسانيين — ثم قام العباسيون على أثر الأمويين ، ثم قام صلاح الدين ، ثم جاء الترك بعد السلجوقيين — ثم جاء فيصل بن الحسين ، ثم جاءت جيوش الفرنسيين .

هكذا يدور الفلك في السماء . ويدور السلطان في الأرض ، فتنشأ من القبر الحياة ، ويغطى على الحياة قبر ، والسلسلة لا تنتهي ، والناس لا يعتبرون . . . و (بردى) يبتسم ساخراً من غرور الانسان ، ضاحكاً من جهالته . يحسب نفسه شيئاً ، فيضارع الكون ، ويتطاول بعقله الى الله ؛ وما هو من الكون إلا ذرّة من الرمل ضائعة في الصحراء ، وما عمره إلا ثانية واحدة من عمر (بردى) .

***

(بردى) وهو يجري على الأرض ، رمز لتاريخ الأمة العربية وهو يجري في الزمان . ففي كل قسم من بردى ، فصل من التاريخ :

يخرج (بردى) من بقعة في (الزبداني) منعزلة صعبة ، لا يبلغها إلا من كان من أبنائها عارفاً بمداخلها ومخارجها — كما خرج العرب من هذه (الجزيرة) الصعبة المنعزلة ، التي لم تلن إلا لأبنائها ، والتي ردت عنها الفاتحين كافة ، وجعلت رمالها قبراً لكل من يجرؤ منهم على وطئها ، على أنه لم يتجرأ عليها إلا كسرى ، فبلغ جيشه (ذي قار) ، ولكن الجزيرة قد ابتلعت هذا الجيش وهي تهتف لمحمد ، ثم لم يقنعها هذا الثأر ، فابتلعت دولته كلها في (القادسية) تحت راية محمد ، . . وقالت للعالم : هذا جزاء من يطأ الجزيرة !

ويسير (بردى) في غور عميق لا يخرج الى هذه الجنان الجميلة الفتانة التي قامت على مقربة منه ، يسلك قرارة الوادي ، تلتطم أمواهه وتصطدم : كما كان العرب في جاهليتهم يصطدمون ويقتتلون ويشتغلون بأنفسهم عن العالم ، فلم يخرجوا الى الدنيا ، ولم تخضع لجزيرتهم جنات الشام ، ولا سهول مصر ، ولا سواد العراق .

ثم يبلغ (بردى) (الفيجة) وهناك تصب فيه أمواهها العذبة الصافية الزاخرة ، فلا تخالطه ولا يخالطها ، ويسير النهر خمسين متراً ، ومن إحدى جهتيه (بردى) القليل المكر ، ومن الأخرى (الفيجة) الكثيرة العذبة ، ثم يختلطان ، فتضيع قلته وكدورته ، في كثرتها وصفائها ؛ ويعدو (بردى) قوياً عذباً زاخرا ، نحو أرض الورود والثمار .

كما صبت على الديانة الجاهلية ، مبادئ الاسلام السامية ، فتجافى العرب عنها ، وأبوا أن يتبعوها ، وكادوا لأصحابها ، حتى غدت الجزيرة كبردى ، فيها المسلمون الموحدون المتحدون ،

والجاهليون المشركون المختلفون ، ثم مكّن الله لمحمد ، فخضعت له الجزيرة لم تخضع قبل لمخلوق ، واجتمعت كلها تحت رايته ، ولم تجتمع قبل تحت راية واحدة ، فقادها الى الشام والعراق ، الى أرض النخيل والأعناب .

ويبلغ (بردى) (بسّيمة) ويبلغ (الجديدة) فيسير بين بسيمة والجديدة ، في أجمل البقاع على وجه الأرض ، ويسقى هذه الخمائل فيكون شكرها إياه ، أفنان الورود ، وأغصان الأشجار التى تتدلى فوقه ، وتلمس خده لمساً رفيقا ، وتقبل جبينه قبلة طاهرة ، وهو يلين تارة فترى حصباءه من صفائه ، ويشتد أخرى فيرغى ويزبد ، ويكون له منظر مرعب ولكنه جميل ! مرهوب ولكنه محبوب !

كما كانت الأمة العربية بعـــد أن بسطت سلطانها على العالم القديم كله محبوبة مرهوبة فى آن ، يفزع أعداؤها من هيبتها ، ولكنهم يحبون عدلها ، وينتفعون بحضارتها . أغاثت بالعدل بقاع الأرض فكان شكرانها إياها ، هذه الأموال التى فاضت بها خزائنها ، وهذا النعيم الذى تفيّأ ظلاله أبناؤها ، وكانت تستقيم لها الأمور فتلين وتدع هذه الرقعة البسيطة من الأرض جنة يسعد بها أهلها ، ويسعد بأهلها أهل الأرض جميعا ، وكانت تستغضب ، فاذا غضبت غضب لها الدهر ، واذا سارت الى عدوها سار فى ركابها الموت والدمار أنى سارت : كانت تحمل فى يمينها السلام والسعادة ، وفى يسراها الموت والشقاء ، كما يحمل بردى بين (بسيمة والجديدة) الغيث والثمرات ، والطوفان والغرق .

ويبلغ بردى (الربوة) ويمشى حيال النيربين ، ذلك المغنى الذى بنى من الشعر ، وولد فيه الشعر ، ثم استحال الى مقاه من عيدان تقوم على الخمر والقمر والعهر . . . وينقسم بردى الى أقسام سبعة قد انتثرت نثراً بين عدوتى الوادى : يزيد ، وتورا ، وبردى ، وبانياس ، وقنوات ، والديرانى ، وعقربا — منها القوى الممتلئ ، ومنها الضعيف القليل — كما انقسمت الأمة العربيـــة الى طوائف وحكومات ، منها القوى المتين ، كحكومة صلاح الدين التى ردت — على صغرها — أوربة كلها يسوقها الجهل والتعصب ، وانتزعت فى (حطين) الفريسة من (قلب الأسد) ، وحكومة سيف الله التى هدّت فى (الحدث) حكومة الرومان هدّاً ، ومنها الضعيف المستكين وقد أزهرت الحضارة فى هذا العهـــد وأثمرت ، كما أزهرت الأشجار فى (الربوة) وأثمرت .

ثم يدخل بردى (دمشق) ، فلا يصفق بالرحيق السلسل ، ولا يتمايل على الورود والرياحين ، بل يصفق بالأوحال والحشائش ، ويميـــل على الأقذار والأوساخ ، ويشح ماؤه وينضب ثم يضيع ويضمحل ، كما ضاعت عزة العرب ، واضمحلت . . .

ثم يخرج الى (الغوطة) فاذا نشق نسيمها عاودته الحياة ، ونشأت فى مجراه الجاف الصلب ، عيون وينابيع ، فاذا بلغ (جسر الغيضة) عاد قوياً زاخراً عذباً — كما عادت الأمة العربية اليوم الى الحياة ، ورفعت فى الشام ومصر والعراق صروحاً جديدة ، لن تلبث الا قليلاً حتى تكون خالصة لأصحابها ، من دون الناس أجمعين !

***

وبعد ، فهل أحزنك يابردى انك اليوم ضائع فى أهلك ، لا ترى حولك عزة العروبة ولا جلال الاسلام ؟ كلا ، لا تحزن يابردى فما أنت وحدك المضاع ، ان هنا أمة بقَضّها وقضيضها ، هى مثلك مضاعة ، وهى مثلك بنت المجد والسؤدد .

لا تحزن يابردى ! فلقد عشت حيناً من الدهر ، وأنت تسق النيل والفرات وسيحون والوادى الكبير . . . أفيضرك وأنت من لدات الدهر ، أن تذل ويذل أهلك أياماً .

لا تحزن يا بردى ، بل اصبر حتى اذا أعجزك الصبر ، فثر بأمواهك ، وليضطرم موجك حتى تغسل عن قومك عار الذلة والخنوع ، انه لا يفسد الا ثورتك ، هذه سنة الحياة يا بردى : لا بالحق ولكن بالقوة .

واذا عزّهم منك لينك . فأرهم شدتك ، إن الماء على لينه يجرف جبلاً على جبروته وكبريائه ، ولقد ثرت مرة ، فبلغ رشاشك بواتيه من هنا ، وحيدر آباد من هناك ! فهل استنفدت تلك المرة قوتك كلها ؟ أما فيك بقية من الشباب ؟ أتعبت اذ تجرى هذه الملايين من السنين ؟ إنها فترة صغيرة من عمرك ، فعلام الونى ؟ انك لا تزال شاباً . ولم تنس بعد جيش خالد ولا موكب الوليد ، لقد كان ذلك أمس . وسيكون مثله فى غد .

فاصبر ولتصبر يا بردى ! إن الصبر مفتاح الفرج يا بردى . . .

دمشق **على الطنطاوى**

آراء حرة

القصة في الأدب العربي

للأستاذ فخري أبو السعود

حب تتبع الحوادث وحكايتها مركب في الطبع الانساني ، ولكن القصة كانت آخر صور الأدب ظهوراً ، فلم تعرفها الآداب القديمة ولم تظهر في الآداب الأوربية الحديثة إلا أخيراً ، ولذلك أسباب منها الوهم الذي وَقَرَ في نفوس الأدباء المتقدمين وإن يكن يبدو لنا اليوم غلطه واضحا : أعني توهم أن القصة إن هي إلا أحبولة أكاذيب لا يليق بالأديب الراقي أن يلهو بحوكها ، وأن القصص مرتبة من التأليف سهلة يستطيعها كل من رامها فلا يجمل بالأديب القدير أن يتدلى اليها

ومن ثم كان العرب يؤثرون الأخبار التاريخية والأدبية ويخصونها بالحفظ والرواية مهما خالطها التحريف ، لاعتبار أنها حقيقة لا اختلاق ، وكثرت بينهم كتب التواريخ والسِّيَر دون كتب القصص ، ومن ثم أيضاً لم يسلك سبيل القصص من الأدباء المجيدين إلا من كان له غرض آخر دون القصص يوهم قراءه أو يوهم نفسه أنه الغاية التي اليها يقصد : إما باعطاء القصص مغزى وعظياً كما في كتاب كليلة ودمنة ، أو بالباسه ثوباً قشيباً من الصناعة البلاغية كما في مقامات الهمذاني والحريري ، بينما تركت الأقاصيص المجردة للعامة الذين يفشو بينهم القصص في كل العصور نتيجة لذلك الميل الطبعي في الانسان ، وتُتداول بينهم أساطير المردة والسحرة ووقائع الأبطال الغازين ومخاطرات التجار والملاحين ونوادر الظرفاء والمعتوهين

بيد أن القصة إن انعدمت من الآداب اليونانية والرومانية القديمة ومن الآداب الأوربية الحديثة الى عهد قريب ، فقد قامت مقامها عند تلك الأمم الرواية التمثيلية التي تؤثر في النفوس لا من طريق الميل الطبعي الى القصص وحده ، بل من طريق أخرى هي الميل الى محاكاة الأشخاص وتقليد الحركات ، ومن طريق ثالثة هي الثوب الخيالي الشعري الذي أسبغ على تلك الروايات التمثيلية .

ثم التفتت رويداً رويدا الى أحوال المجتمع فتناولت وصف شؤونه وتصوير أخلاق أفراده ، أما العرب فلم تقم لديهم لا القصة المقروءة ولا الرواية التمثيلية ، فإلام يعزى ذلك ؟ يعزى الى أمرين : أولهما ايجابي هو موقف أدباء العربية من مجتمعهم ، وثانيهما سلبي هو مكانة الشعر لدى العرب

فكتاب العربية وشعراؤها عاشوا دائماً بنجوة عن مجتمعهم لا يشتركون في تقلباته السياسية والاجتماعية ، ولا يعبرون عن شعوره وحاجاته ، ومن ثم ندر الأدب الوطني في العربية وإن كثر الأدب العصبي ، وندر الشعر الاجتماعي ، وكان جل شعر الشعراء فردياً يعبر عن عواطفهم وحاجاتهم الشخصية ويفيض بذم منافسيهم وأعدائهم الشخصيين ومدح أولياء نعمتهم من الكبراء والأمراء الذين يعتمدون عليهم دون الشعب ويبتغون رضاهم قبل رضا الشعب ، فلم يكن هناك تواصل وتجاوب بين الأدباء ومجتمعهم ولا رغبة لدى الأدباء في معالجة شؤون المجتمع وتحليلها ومحاولة إصلاح فاسدها عن طريق أدبهم ، فلم يقم في العربية أمثال أديسون وستيل ودكنز وجالزورذى من الأدباء الانجليز الذين جعلوا إصلاح الأخلاق أو ترقية المرأة أو انهاض العامل نصب أعينهم ، ولاريب أن هذا التواصل والتجاوب بين الأدباء والمجتمع واعتماد الأدباء على جمهور القراء دون هبات النبلاء أساس نمو القصة التي تصف المجتمع وتحلل الأخلاق ، ولم تنشأ القصة الحديثة في أوربا في القرن الثامن عشر إلا بقيام ذلك التواصل والتجاوب بين الأدب والمجتمع ، وكانت الطباعة التي سهلت انتشار الكتابات مساعدة لذلك ولا ريب

وأما مكانة الشعر الممتازة لدى العرب — والتي لعله لم ينلها لدى أمة أخرى — فانها ثبطت ماعدا الشعر من صور الأدب ، فقد كان الشعر لدى العرب هو الوسيلة للتعبير عن العواطف قبل كل وسيلة ، فصرفهم شديد اعتدادهم به وتوفرهم عليه عما عداه ، وأودعوه عواطفهم وأخبارهم وقصصهم ، فلو أن الشعر ترك مجالا لغيره لاحتمل أن يلجأ أديب كأبي نواس إلى القصص يودعه أنباء لهوه ووقائع غرامه ويشرح فيه ما سبر من غور العواطف وبلا من سريرة المرأة سادلاً على شخصيته ستاراً رقَّ أو كثف ، ولربما كان منه في العربية نظير لموباسان في الفرنسية ، ولكن الشعر

كان كما تقدم هو الوسيلة للتعبير عن العواطف قبل كل وسيلة ، فلم يتردد أبو نواس فى سلوك السبيل التى سلكها ابن أبى ربيعة من قبله ، سبيل الشعر القصصى أو القصص المنظوم شعراً

إن الناظر فى أدب العرب وتاريخهم لايسعه إلا أن يرى هذه الحقيقة بارزة : حقيقة أنّ الشعر نال من المنزلة عندهم ما لم يبلغ عند سواهم حتى طغى على مادونه من ضروب الأدب ، وأن الأدب على إطلاقه بلغ لديهم مكانة طغى بها على ما عداه من الفنون وصبغ ثقافتهم بصبغته — برغم بعده عن معالجة الحالة السياسية والاجتماعية فكان كاتبهم فى التاريخ وتقويم البلدان وغيرهما من العلوم يتحدث عن الأدباء ويرجع إلى محفوظه من الأدب ، وكم من أعلام للشعر العربى لو كان التصوير والنحت رائجين لدى العرب رواج الأدب والشعر لا نصرفوا إليهما دونه أو لمارسوهما معه

ولقد كتب الأستاذ الفاضل محمود خيرت فى الرسالة أخيراً يثبت وجود التصوير لدى العرب فلم يَعْدُ أنْ أثبت أنه كان فى حالة أولية لا يُفتخر بها ولا يغتبط : فان الفن الذى لا ترى له باقية ولا يمكث له أثر فى أدب اللغة وكتبها ، ولا يتوصل إلى إثبات وجوده إلا بشذرة شاردة فى صحيفة من كتاب ، لا يكون فنا قد نال حظا من الرقى وخالط نفوس الأمة واستدعى اهتمام مثقفيها ، والحكاية التى رواها الأستاذ عن المقريزى تشهد بذلك ، حكاية المصورين اللذين رسما صورتين إحداهما كأنها داخلة فى الحائط والأخرى كأنها خارجة منه : فانّ تفاُخر الرجلين بهذا العمل الضئيل ودهش الوزير له وإسباغه عليهما المنن من أجله ووقع القصة من نفس المؤرخ حتى أثبتها فى كتابه ، كل ذلك لايدل على إرتقاء الفن فى ذلك العصر بل يدل على كونه فى حالة بدئية ، وعلى ندرة المصورين المجيدين بل المتوسطى الحظ من الاجادة ، وكلام المؤرخ كله يدل على أن التصوير الذى عرف لذلك العهد لم يتعد الصناعة ذات الغرض العملى التى يزاولها الصُّناع كما يزاولون النقش والطلاء ، ولم يرق إلى مرتبة الفن الخالص المنزه عن الأغراض العملية

إن صور المدارس الايطالية والهولندية وغيرها منتشرة فى الأقطار تملأ المتاحف وتتحدث عن نفسها وعن رقى الفن عند أهلها قبل أن تحدثنا عن ذلك مئات الكتب التى أُلفت فيها ، فأين آثار مصورى العرب التى تحدثنا عن مثل ذلك ؟ بل أين الكتب المؤلفة فيها ؟ بل أين الصور العربية التى كانت وحيا لشعراء العربية كما كانت الصور الأوربية وحياً لوردزورث وتنيسون وغيرهما ، أو كما كانت صور الأطلال الفارسية وحياً لسينية البحترى ؟

لن نظفر بشيء من ذلك إذا طلبناه ، ولن يسعنا إلا الاقرار بالحقيقة التى تطالع قارىء تاريخ العرب وأدبهم : وهى أن العرب كادوا أن يكونوا أمة ذات فن واحد هو الأدب وبخاصة الشعر الذى استوعب ملكات جل نوابغهم واحتوى دراسات جل مثقفيهم ذلك بأن العرب كانوا منذ جاهليتهم أمة لسان وبيان .

فخرى أبو السعود

خصـــومة

للأستاذ توفيق الحكيم

بعثت اليه أول النهار بالرسالة التى سماها « باقية على الدهر » ثم أويت آخر النهار الى بيتى فوجدت اسطوانات « بيتهوفن » التى استعارها منى قد ردها الى ، فعلمت أنها القطيعة . فوقفت واجماً فى مكانى وزالت آثار الغضب ولم يبق فى نفسي الا ألم عميق : لقد انتهى كل شئ بينى وبين الدكتور طه حسين . . ولم أستطع أن أقرأ شيئاً فى ليلتى ، وما أن أقبل الصباح حتى أوفدت الى الدكتور طه حسين صديقين كريمين يحادثانه فى أمر الرسالة ، فاذا به قد دفعها الى المطبعة ، واذا به يأبى الا أن يعلن الخصومة الى الناس . وحاول الصديقان عبثاً أن يحولا بينه وبين هذا الاعلان . وحاولا عبثاً أن يقنعاه بابقاء الخصومة سراً بيننا حتى يعرض أمرها على الأستاذ الجليل لطفى السيد بك وكلانا ولده وهو أولى من جمع بين القلوب النافرة لو كان الى ذلك سبيل . لكن الدكتور طه أراد أن ينتقم فتناول القلم ووضع قصة روى فيها ما كان من أمرى وأمره

قرأت القصة فدهشت . أى روعة وأى ابداع ! إنها فى ذاتها أثر من آثار الفن الخالد ، إنى أشهد أنها عمل فنى عظيم . فيها من سعة الخيال وروعة الأسلوب ما يضمن لها البقاء . إنها هى التى ستبقى على الدهر

لقد أعجبت حقيقة بهذه القصة اعجاباً شديداً . وهى عندى من أقوى ما كتب الدكتور . ولقد أنسانى إطارها الأدبى ما احتوته

من اتهامات قاسية ، وماذا يهم ؟ إن شخصي ليس يعنيني كثيراً ، كما أنه ليس يعني صديقي الدكتور منذ اليوم . انما الذي حفلت به حقيقة وأحفل به الآن ، هو تلك القطعة التي تشيع الحرارة في جوانبها ، ويتلىء أسلوبها بمرارة مؤلمة . قطعة لا ينساها من يقرؤها . وأغلب ظني أن الدكتور قد أصر على نشرها لأنه يعلم انه قد كتب شيئاً جميلاً : واني الآن لأرضى أن يضحي شخصي الزائل في سبيل ظهور هذه القطعة الباقية . على أن القارئ وقد فرغ من القصة لابد يسأل نفسه : ما كل هذا الذي بين توفيق وبين الدكتور ؟ واني أمد القارىء بالجواب فأقول : لا شيء في رأيي غير صداقة لا يمكن أن تزول لأنها صلة بين قلبين اجتمعا على حب الجمال الاعلى : جمال الفن والحقيقة ، ولئن قامت خصومة بيننا اليوم أو في الغد ، فهي خصومة من أجل الرأي والتفكير ، إن الشخصية الحرة هي كل مايحتاج اليه الأديب الحقيق . ومهما يكن من قيمة الصداقة الأدبية العظيمة لا ينبغي أن تفتات على هذه الحرية . إن الدكتور طه حسين العميد الرفيع المقام ، والزعيم الجليل الشأن في أدبنا العربي الحديث يفهم هذا حق الفهم . وإنه ليعلم أني أقدره أحسن تقدير وأضعه من نفسي في أسمى مكان وأحفظ له على الزمن ما أسدى إلي من جميل ، ولا أنسى أنه هو الذي ألقى الضوء على وجودي . غير أنه يخطىء إذا فهم أن صداقتي له معناها التزام موافقته على كل رأي أدبي يبديه ، والتسليم والتأمين على كل ما يخرج من قلمه أو من فيه . ان الحكم المطلق إذا صلح في دولة السياسة فهو لا يصلح في دولة الأدب . واني لا إخال صديقي الدكتور طه نفسه يرضى لي أو يرضى لفني وتفكيري هذه الحرية المقيدة . هذه هي كل الخصومة التي بينه وبيني . فهو قد استاء مني إذ عارضته في بعض آرائه في مقالات نشرت في «الرسالة» أو في «المصور» وفاته أني أجد لذة عقلية في معارضة منطقه السليم وآرائه المستقيمة دون أن أحفل بالنتائج . ولقد استاء كذلك مني يوم أخرجت الطبعة الثانية من «أهل الكهف» بغير مقدمته ، وعقيدتي أنه على حق في هذا الاستياء لو أنه فهم من تصرفي أني قصدت خدش كبريائه ، أو أني رأيت أحداً غيره أولى منه بهذا التقديم

أما وقد فهم أني لم أقصد هذا ولا ذاك ، وأن الحقيقة لا تعدو أني شخص بسيط لا أمقت شيئاً في الأدب مثل المقدمات ، وأني روح حر يأبى أن يقيد نصوصه بتفسيرات ، فضلا عما قام في ذهني يومئذ من ابطائه أنه غير جاد في وعده بالمقدمة . فهل تراه يصر بعد ذلك على اتهامي بسوء القصد ؟ . اني أحب الحرية ، حرية التصرف ، وحرية الكلام ، وحرية ابداء الرأي . وأعتقد أن أثمن كنز يغدقه المجتمع على رجال الفن هو «الحرية» ، وأعتقد أن خير هدية أهديها صديقي العزيز علي ، هي «الحرية» ولقد بلغ من اخلاصي في صداقتي لطه حسين أن أعطيته «حريتي» . فهو لن ينسى أني ما أتصرف في عمل أدبي بغير رأيه ، وما استشارني أحد في أمر يتصل بكتبي إلا أحلت الأمر عليه ، وانتظرت كلمته فيه . على أني أحب من جهة أخرى أن أستعير بعض هذه الحرية أحياناً لأناقشه في فكرة من الفكر ، أو أحاوره في مسألة ، أو أرد عليه في مقال . فأنا كما يعلم الدكتور طه ذو طبيعة لا تسير على نظام .

إني أعطي كثيراً ثم آخذ فجأة ، ثم أعود فأرد ما أخذت . وعلى صديقي أن يكون رحب الصدر ، سخي النفس كمصرف فتح لي فيه حساب جار . وإني أشهد أن الدكتور طه يحمل نفساً من أنبل النفوس وأندرها ؛ ولقد سجلت هذه الشهادة في قلبي قبل أن أسجلها في كتابي الفرنسي الذي بعثت به اليه منذ شهرين . غير أن الدكتور لم يعرفني حق المعرفة ، وأراه يأخذ بعض تصرفاتي على سبيل الجد ، حيث لا ينبغي أن تؤخذ على سبيل الجد . ولست أدري ماذا كان يضيره لو أنه غضب ما شاء من رسالتي العنيفة ثم مزقها دون أن يحفل بها ، ودون أن يعلن أمرها للناس ، ودون أن يدخل الناس بيننا ؛ وهو يعلم لو رجع الى قلبه أن لا شيء في هذا الوجود يستطيع أن يحول بيني وبينه ، ومع ذلك فان هذه الرسالة الغريبة قد أدت الى الأدب العربي أجل خدمة ، فهي التي ألهمت الدكتور كتابة قصة من أروع القصص ، وإني أؤكد للدكتور أنها خير نموذج للون جديد في الأدب كان ينبغي أن يوجد . وأخشى أن تحدثني نفسي بتكرير فعلتي كلما تاقت نفسي الى متعة فنية ، وكلما آنست في انتاجنا الحديث فراغاً .

وبعد ، فيا صديقي الدكتور أنا محزون حقاً . فقد فكرت ، فاذا خطيئتي بديهية ، فقد كان يجب على الأقل أن أستشيرك قبل أن أبعث بتلك الرسالة . فماذا ترى في موقفي منك ؟ ويزيدني حزناً لطفك حين تتجاوز في سهولة وكرم عن كل هذا .

إنما أنت في حقيقة الأمر فنان كبير ، فنان حقاً . وإني لأعترف بأني لم أمنح هذه النفس ، ولست أنا خليقاً بالفن ولا بك .

الرسول صلى الله عليه وسلم

للأستاذ محمود محمد شاكر

قرأت فى عدد الرسالة الذى صدر بتاريخ الأثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ باباً من القصص الشعرى عن (اسلام حمزة) رضى الله عنه وقد وضع هذه القصة واضعها وهو يقصد بها — إن شاء الله — خيراً . إلا أن طريق الخير إلى ماقصد إليه قد التوى به التواء يذهب بكل ماعمد إليه ، فانه وضع على لسان الرسول شعراً نزهه الله عنه بقوله « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » ، ثم يلى ذلك أنه قد وضع على لسانه مالم يقله صلى الله عليه وسلم

وليعلم صاحب هذه القصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ويقول « من حدّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » . فكيف بصاحبنا وهو ينطق رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لم يقله ، ثم يكون ماأنطقه به من الكلام مصوغاً فى القالب الذى نزّه الله عنه نبيه صلى الله عليه وسلم ؟

وهذه المسألة مما يريد بعض الناس أن يحتال لها بتنافق الكلام ليستحل مالا يحل أبداً . وهم يراودون الناس فيها عن عقولهم أولاً ثم عن إيمانهم ثانياً ، لينقادوا لهم فى الرضا بها والمتابعة عليها . . . والمسألة لو تناولت أحداً غير صاحب الرسالة لقلنا عسى ولعل . . . ولنظرنا فى المخرج الذين يتأولونه نظر المنطق . ولكنها تتناول إنسانية وحدها قد جعلها الله بمنزلة فوق منازل سائر البشر ، وإن لم تخرج عن منزلة البشر فى أعراض الحياة وما يكون فيها وما يأتى منها .

إن إنسانية الأنبياء وحدها هى الانسانية التى أوجب الله على من حضرها من الناس أن يؤمن بها أولاً ، ثم يحافظ على رواية سيرتها ثانياً ، ثم يحترس ويتدبر فيما ينقل عنها أو يصف منها ، لأن نسبة شىء من الأشياء إليها قد يكون مما يتوهم أحد منه وهماً يخرج — فيما يقبل من أمر الدنيا — بحقيقة الرسالة التى أرسلوا بها عن القانون الالهى الذى عملوا به ليحققوا كلمة الله التى تعلو أبداً ، وتزهر دائماً ، وتبقى على امتداد الزمن روح الحياة البشرية وميزان أمر الناس فى هذه الدنيا

وليس يقال فى قصة صاحبنا أو غيرها أن ما أنطق به الرسول لا يتناول تشريعاً أو أدباً أو حكمة ، وإنما يتناول الكلام المتعاطى بين الناس فليس به من ثم بأس . . . ليس يقال مثل هذا لأن التشريع حين يوضع ويراد به سد أبواب من الشر والفتنة يأتى منعاً مصمتاً لا مدخل فيه ولا ثغر حتى يدفع المحزبين والمفسدين والعابثين ويضرب على أيديهم من كل ناحية . ولو كان الأمر على غير ذلك لتناول كل لص مفتاح الباب الذى يريد أن يدخل منه إلى عقول الناس ليستغرهم ويزلزلهم من جنة الايمان الى جحيم الالحاد فى الدين من الطريق الخفى الذى لا تبصر فيه العامة ولا تهدى به إلى أرشد أمرها فى الحياة

فنحن هنا نتقدم الى الأستاذ صاحب القصة بأن يتدبر ماشاء ، فهو سيدع ما سلك الى سبيل أهدى ، فان الأدب الذى له نعمل لم يقتصر ولم يضق حتى ندع ما أحل الله الى ما نهى عنـــه ، ونترك سبيل الرشاد الى سبيل تنحدر بنا الى هاوية لا قرار لها ، ولا عاصم منها .

محمود محمد شاكر

واليك الآن ما تمت عزيتى عليه اذا احتفظت بغضبك علىّ فسأعرض عن كل حياة أدبية » . **توفيق الحكيم**

تعليق

نقلنا فى العدد الماضى عن الوادى ما سماه صديقنا الدكتور طه « قصة تمثيلية للأستاذ توفيق الحكيم » ، لأن (الرسالة) كانت مسرحاً لهذه الرواية ، فمن حق قرائها الذين لا يصل اليهم الوادى أن يشهدوا فصلها الأخير ، ولأن (الرسالة) سجل لألوان الأدب الحديث ، فمن حق الأدب أن نسجل فى تاريخه مايقع بين رجاله من الخلاف الجدّى فيه كاملاً غير منقوص . ولهذين السببين نقلنا أيضاً عن الوادى ما كتبه الأستاذ توفيق الحكيم تعليقاً على تلك (الرواية) ، وانه ليسرنا أن نسجل كذلك أن الود قد اتصل بين الصديقين الكريمين ، وأن الدكتور طه قد أعلن فى الوادى (أن ما كان بين الأستاذ توفيق الحكيم وبينه من خلاف قد انتهى أمره ومحى محواً بعد ذلك الكتاب الرقيق)

أما هذا الذى نشره فى الوادى صديق طه وسماه عتاباً فمعلم من الأمور التى تسمى بغير أسمائها وتجرى على غير أوضاعها فى هذا المهد العجيب الذى استغل الناس فيه كل شىء حتى حياء الحيى ووفاء الوفى وتسامح الصديق . **الزيات**

فى الريف

بقلم عبد الرحمن فهمى
ليسانسيه فى الآداب

اذا أردت أن تمتع النفس بجمال الطبيعة فانك لست واجداً هذا الجمال فى المدينة لأنها دائمة الصخب والضجيج ، مشتبكة المصالح العامة والخاصة بشباك يتعذر على المرء الولوج منها الى حيث الحرية الطبيعية التى وهبها الله عباده . ولا شك أن المدنية أحد العوامل التى أرخت ظلها الثقيل على جمال الطبيعة فى المدن . بل إن هذه المدنية نفسها هى التى اضطرت ابن الطبيعة إلى أن يعقها إرضاء لشهوة المادة ، حتى إذا سئم حياة المدينة — وسرعان ما يملها لأنها حياة مضنية للعقل والجسد — تطلع إلى الطبيعة وارتمى فى أحضانها إلى أن يرتوى بهائها .

وجمال الطبيعة فى مصر يتجلى فى الريف والصحراء والبحر بصورة جلية واضحة ، وقد ذقت لذة الجمال فى كل فطبت نفساً بهدوء الريف وسذاجته ، وأخذتنى روعة الصحراء ورهبتها ، ورقصت مع أمواج البحر وأعجبت بعظمته ، ولكنى لم ألق جمالاً أكثر تأثيراً فى النفس مثل جمال الريف الطبيعى .

ولا عجب إذ ترانى أقضى بعض أوقات فراغى فى قريتى بالمنوفية وهى قرية صغيرة بحجمها كبيرة بتاريخها ، ومن أبنائها العالم الكبير ، والوزير الخطير ، والمدير القدير ، ونسبة المتعلمين فيها طيبة . فاذا حللت بها نسيت كل شىء إلا الجمال : فهذه حقول واسعة تتزيا فى كل موسم بلباس خاص قد يكون أخضر سندسياً مسترسلاً موشى بالأبيض اللامع والأصفر الفاقع فى موسم البرسيم الجميل ، وقد يكون ذهبياً براقا عند ما تنضج سنابل القمح والشعير إيذاناً بالبركة والخير الجزيل ، وقد يكون أبيض صافياً عند ظهور وبر القطن ثروة القطر وأمل الجميع ، وقد يأبى هذا اللباس إلا أن يكون ذا خطوط متقاطعة أو متوازية عند إطلاق الماء فى المصارف قبل أن ينبت الزرع . وهذه دور ساذجة تقرأ فيها كل أخلاق القروى من بساطة العيش ووداعة النفس وشىء من الدهاء مقرون بالسذاجة ، ونوع من الاهمال ممزوج بالجهل ، يشرف على هذه الدور جميعاً مئذنة مسجد صغير ينبعث منها كل وقت صلاة صوت مسترسل عذب يدعو المؤمنين إلى ربهم .

ويعجبنى جمال الخلق الذى عفا معظمه فى المدن ، فالفضيلة لا تزال حافظة لكيانها فى القرية ، فلا بغاء ولا غش ، ولا يمكنك أن ترى قروياً ثملا فى أحد طرق البلدة ، بل إن أغلب القوم متمسكون بالعروة الوثقى . والشرف ظاهر فى جوانب الحياة ، والكرم والسخاء صفتان ملازمتان للقروى والقروية .

توقظك فى الصباح الباكر صيحات الديكة المتناوبة ، وزقزقة العصافير المرحة ؛ فاذا أطلت الشمس من خدرها مؤذنة بالحياة والكد والعمل ، خرج الفلاحون من دورهم إلى حيث انعامهم فجهزوها ورووها بالماء وقادوها إلى العمل طوال النهار ، ويعطف القروى عليها ويحنو ، عطفاً كبيراً وحنواً زائداً ، ولا عجب فهى ذراعه اليمنى التى يعتمد عليها فى حياته ، تطعمه وتهيىء أرضه للزرع .

ينعم الفلاحون فى الحقل بكثرة العمل ونقاء الهواء وضوء الشمس إلى أن يؤذنهم غروبها بوجوب العودة إلى دورهم وهم فى ذلك أيضاً أول ما يعنون به بهائمهم يقودونها إلى حظائرها وينثرون أمامها التبن والفول أو البرسيم والعشب ، أما هم فتمد لهم ألوان الطعام على الأرض وهو طعام دسم كثير وهو الوجبة الوحيدة التى يعتمدون عليها فى غذائهم فضلاً عن وجبة أخرى أو وجبتين من الخبز والجبن المخزون .

وفى العشية والمساء يجتمع أهل القرية جماعات فى البيوت أو خارجها على المصاطب يتسامرون ، أو يبيثون صفقة بيع أو يتفقون على رى قطعة من الأرض بعد قطعة ، أو يصلحون بين متخاصمين وتلحظ عليهم جميعا روح المعاونة والحب .

وعلى ضفة النيل الذهبية برملها المبلور اللامع ترى الفتيات النواهد الحسان كلهن فى جلابيبهن السوداء قد بدون سافرات الوجه فى زينة طبيعية جميلة ، وما أجمل الوجه القروى الناعم الذى لم تعمل فيه يد صناع ! وقد حملن فوق رؤوسهن الجرار ، هذه تغسل جرتها وقد ارتسم جسمها الجميل على صفحة الماء الصافى ، وتلك تغترف من الماء ما هى فى حاجة اليه ، وضفة النهر فى هذه الفترة من كل يوم فى نظرى ناد لأولئك الفتيات يتقابلن فيه ويتحدثن

عنده ويستعرضن يومهن الذى خلا ، وقد يغنين بصوت متناسق جميل أناشيد قروية طريفة :

وأظهر ما تلحظه فى القرية اليوم نوع من الركود المالى ، فبعد أن كانت عقب مواسم الحصد نشطة بحركة بيع المحصول بالأثمان العالية أصبحت متأثرة بالأزمة ، فأسعار رزق الفلاح رخيصة ، وديونه كثيرة ، وموارده قليلة ، وقد نتج عن هذا هجرته الى المدينة باحثاً عن عمل يلقى منه أجراً يومياً أو راتباً شهرياً .

وتقام فى القرية رغم هذا سوق أسبوعية تعرض فيها أنواع التجارة فيبتاع القرويون ما هم فى حاجة اليه من أقمشة أو بضاعة . ويبيعون ما هم فى غنى عنه من الغلال أو الطيور أو الزبد . ويفد اليها كثير من أبناء القرى المجاورة يبتاعون ويبيعون .

ومنذ بضع سنوات لم يكن بالقرية محطة للسكة الحديدية ، أو دار للشرطة ، أو مكتب للبريد والبرق ، وإنما كان المسافرون يحتملون عناء السفر بركوب ظهور الدواب ومتن النهر الى أن يصلوا الى محطة بعيدة يستقلون منها القطار ، وكان ساعى البريد الجوال يصل الى القرية كل يوم على حماره فينفخ فى بوقه فيهرع القوم اليه ويقرأ عليهم الأسماء فيتناول منه كل صاحب رسالة رسالته ، أما اليوم فأسباب المواصلات موفورة .

ويثلج صدرك بعض الشىء أن ترى بالقرية اليوم مكتباً للتعليم الالزامى ، وفكرة ناضجة فى النفوس عن خطر الأمراض لا سيما (الرمد ، والبلهارسيا ، والانكلستوما) وغيرها ، ورأيى أن أفضل ما تقوم به حكومة مصرية هو ترقية شئون الفلاح وأحوال القرية ، لأن الفلاحين هم كثرة سكان مصر ، ولأن القرية هى مورد ثروة البلاد الأساسى .

عبد الرحمن فهمى

٦ - أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

السيد على الببلاوى .

المالكى

هو على بن محمد بن احمد المالكى الحسنى الادريسى من ببلاو ، قرية تابعة لعمل ديروط الشريف التابعة لمديرية أسيوط ، ولد بها فى شهر رجب سنة ١٢٥١ ونشأ بها فحفظ القرآن ومبادئ العلوم وحضر للأزهر سنة ١٢٦٩ فقرأ به على شيوخ وقته كالشيخ محمد عليش ، والشيخ منصور كساب ، والسيد محمد الصاوى ، والشيخ على مرزوق ، والشيخ ابراهيم السنجلفى ، والشيخ احمد الاسماعيلى ، والشيخ محمد الانبابى ، والشيخ على بن خليل الأسيوطى ، وكان له به نوع اختصاص فى الحضور ، وصحب مدة حضوره الشيخ حسونه النواوى ، فكانا يسكنان معاً ، ويحضران معاً الدروس إلا فى درس الفقه فان المترجم كان مالكياً والشيخ حسونه حنفياً . ولم يزل يجد ويجتهد حتى تأهل للتدريس فدرس بالأزهر والمسجد الحسينى الكتب المتداولة ، وفى سنة ١٢٨٠ سافر للحجاز فحج ، ثم استخدم بدار الكتب الخديوية بالقاهرة مغيراً ، حتى كانت الثورة العرابية ، واتجهت الأنظار لتنصيب المصريين فى المناصب الكبيرة فساعده صديقه ومريده محمود سامى باشا البارودى على اقامته ناظراً على هذه الدار سنة ١٢٩٩ فتمت له نظارتها بعد ما سعى كثيرون لها فلم يوفقوا .

ثم لما هدأت الأمور وأطفئت الفتنة كان المترجم يتوقع القبض عليه كما فعل بكثيرين للعلم بأنه من صنائع البارودى ، ولكن الله سلمه ، ولم يشأ الخديو أذاته لاشتهاره عنده بالصلاح والتقوى والبعد عن الفتن فاكتفوا بفصله من دار الكتب وجبروا خاطره بالخطابة فى المسجد الحسينى ، ثم جعل شيخاً لخدمة هذا المسجد فى ثانى صفر سنة ١٣١١ . ولما غضب الخديو على السيد توفيق البكرى نقيب الأشراف وشيخ الطوائف الصوفية وأمره

بالاستقالة من النقابة فاستقال ، سعى للمترجم صديقه ورفيقه فى الحضور الشيخ حسونه النواوى ، وكان اذ ذاك رئيساً لمجلس ادارة الأزهر قبيل اقامته شيخاً عليه ، فقبل الخديو منه وأقام المترجم نقيباً للأشراف فى ٦ شوال سنة ١٣١٢ فاعتنى بضبط مدخولها وجدد من أوقافها ست دور بناها بجهة الحلمية ، وصار يصرف الاستحقاقات فى أوقاتها ، وسئل فى رياسة الخدمة بالمسجد الحسينى فقال ان كانت النقابة تمنعنى من خدمة سيدنا الحسين لا أقبلها فأبقى كما كان

وأقام المترجم فى النقابة نحو ثمانى سنوات يجدد من معالمها ، ويحيى ما درس منها ، حتى نقل منها شيخاً الى الأزهر ، وكان سبب ذلك أن الخديو انحرف عن شيخ الأزهر الشيخ سليم البشرى وانتهى الأمر باستقالته يوم الأحد ٢ ذى الحجة سنة ١٣٢٠ ، وأراد الخديو اعادة الشيخ حسونه النواوى أو تنصيب الشيخ محمد بخيت المطيعى فلم يوافق النظار على ذلك ، فرشح الشيخ احمد الرفاعى المالكى وأعلمه بذلك ، وكادت تتم له لولا عوارض اعترضت ، ثم سعى الشيخ على يوسف صاحب صحيفة المؤيد ومن أكبر المقربين من الخديو للشيخ امين المهدى بن العلامة محمد المهدى العباسى فرد عليه بأنه لا يصلح لحموله وعدم توليته أموراً قبل الآن ، فأجاب بأنه وان كان كذلك فهو من بيت علم وغنى ، تربى فى نعمة فلا تطمح نفسه لشىء مما فى الأيدى ، وتدربه على الأمور قريب مدرك فرضى الخديو به ، ولكن النظار لم يوافقوه عليه لأمور نقمها عليه ناظر الحقانيــة مدة ما أقامه عضواً بالمجلس الحسبى فحار الخديو وحنق ، وطلب دفتر أسماء العلماء فوقع نظره على اسم المترجم فارتضاه وجنح الى توليته ، ولم يكن قد خطر على بال أحد ، وساعد الشيخ على يوسف على ذلك ليتمكن من رد السيد محمد توفيق البكرى الى النقابة فتم له الأمر ورضى به النظار وأعيد البكرى الى النقابة مضافة الى ما بيده من رياسة الطرق الصوفية وصدر الأمر فى ٢ ذى الحجة باقالة الشيخ سليم من الأزهر وتنصيب المترجم ، فلما ذهب لشكر الخديو كالعادة استصحب معه ولده الأصغر السيد محموداً والتمس اقامته شيخاً على المسجد الحسينى بدله ، كما أقيم أخوه الأكبر السيد محمد قبله خطيباً له فقبل ملتمسه وأجيبت رغبته .

وكان الخديو فى ذلك الحين منحرفاً عن الشيخ محمد عبده مفتى مصر والعضو بمجلس ادارة الأزهر وصاحب الكلمة العليا فيه ، فكان يظن ان المترجم يوافقه فى معاكسة الشيخ ومعارضته وعرقلة مساعيه ، فأخطأ ظنه ، لأن المترجم مال للشيخ كل الميل ووافقه فى كل مشروع ، واتحد به واندرج فيه حتى لم يكن له من الرياسة غير رسومها ، والكلمة كلمة المفتى ، وعوتب فى ذلك من أحد المقربين فاعتذر بأن الرجل لا يريد غير الاصلاح فلا يرى وجهاً لمعارضته ، فكان ذلك سبباً لميل الخديو عنه بعد اقباله عليه ، وضعف المفتى عن معاندة الخديو ولم يجد من الانكليز المساعدة التى كان يرتكن عليها فعزم على نفض يده من الأزهر ، ورأى المترجم أن الأمور لا تجرى على مرغوبه فاستقال من الأزهر يوم الثلاثاء ٩ المحرم سنة ١٣٢٣ فأقيل يوم السبت ١٢ منه وأقيم بدله الشيخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى واستقال أيضاً المفتى من مجلس الادارة مرغماً .

وأقام بعد ذلك المترجم بداره التى بجهة المناصرة بعد أن رتب له الخديو خمسة وعشرين ديناراً مصرياً من الأوقاف الخيرية تصرف له كل شهر ، مواظباً على كثرة تلاوة القرآن كعادته ، مقبلاً على العبادة حتى ازداد به المرض سنة ١٣٢٣ ، وتوفاه الله فى غروب يوم الجمعة الثالث من ذى القعدة من تلك السنة فشيعت جنازته بعد عصر يوم السبت وصلى عليه بالمسجد الحسينى وطيف به حول المقام كوصيته ، ثم دفن بقرافة المجاورين فى بستان العلماء رحمه الله رحمة واسعة . وله من المؤلفات رسالة اسمها الأنوار الحسينية على رسالة المسلسل الأميرية ، ورسالة فيما يتعلق بليلة النصف من شعبان ، لولده السيد محمود تعليق عليها سماه عروس العرفان فى الحث على ترك البدع وشوائب النقصان على الرسالة الببلاوية المتعلقة بليلة النصف من شعبان .

وأعقب المترجم من الذكور ولدين كبيرهما السيد محمد الببلاوى سعى له والده حين انفصاله من نظارة دار الكتب فجعل مغيراً بها ثم جعل وكيلاً لها وخطيباً للمسجد الحسينى ونال درجة العالمية الثانية بالأزهر ، ثم جعل بعد ذلك نقيباً للأشراف . والآخر السيد محمود جعل شيخاً للمسجد الحسينى لما أقيم والده شيخاً للأزهر ثم جعل بعد ذلك شيخاً للمسجد الزينبى .

الشيخ أحمد الرفاعى

المالكى

اشتغل بالحضـــور فى الأزهر على مشايخ وقته حتى تأهل للتدريس فدرّس الكتب المتداولة ، وقرأ عليه كثيرون من كبار علمائه الآن كالشيخ محمد عبده والشيخ محمـد بخيت والشيخ أبى الفضـل الجيزاوىّ والشيخ محمد حسنين العـدوىّ والشيخ محمد النجدىّ الشرقاوىّ وغيرهم ، وقد أصبح فى أواخر أيامه وليس فى الأزهر إلاّ من هم تلاميذه أو فى طبقتهم إلاّ الشيخ الشربينىّ والشيخ البشرىّ

وكان من عادته ألا يقطع الأقراء طول السنة ولا يسامح فى أوقات المساحات ولا يقعده عن الاشتغال إلاّ المرض ، فقرأ الكتب المتداولة مراراً ومهر فيها بسبب كثرة اشتغاله حتى صار المستعصى منها عنده بمنزلة السهل عند غيره . وأتقن فنّ التجويد فجعل شيخاً على القارئ مدّة طويلة . ولمّا أقيم الشيخ حسونه النواوى شيخاً على الأزهر فى المرة الأولى ولم يجد إقبالاً من علمائه صاحبه المترجم وتحبب اليه ولازمه فى غدواته وروحاته . ثم لما انحرف الخديو عباس باشا الثانى عن الشيخ محمد عبده مفتى مصر والعضو بمجلس ادارة الأزهر وأراد كف يده عنه ساعده المترجم على ذلك وأخذ فى معاكسة الشيخ وتدبير المكايد له ، وتنفير الأزهريين منه ، وتقرب من الخديو وأكثر من الترداد على قصر القبة ومداخلة الحاشية حتى حظى عنده وأقبل عليه إقبالاً عظيماً ، فلما عزل الشيخ سـليماً البشرى عن الأزهر فى ٢ ذى الحجـة سـنة ١٣٢٠ وأراد إرجاع الشيخ حسونه النواوى أو تنصيب الشيخ محمد بخيت ولم يرض النظار ، رشح المترجم واستدعاه وأعلمه بانتخابه له فعاد الى داره جذلاً وأشاع الأمر وهيأ السكر لشرب المهنئين والرمل الأصفر لفرشه بصحن الدار ، وكاد الأمر يتم له لولا أن بعض مبغضيه من المقربين للخـديو صرفه عن توليته وذكر عنـه هنات الله أعلم بها ، فعدل الخديو عن تنصيبه الا أنه التمس لنفسه مخرجاً من وعده الذى وعده به فأعمل بعض المقربين الحيلة واستدعوه بحضرة الخديو وسألوه عن قبوله للتولية فقال لهم نعم ولأنى مولاى وقبلت ، فأخذوا يذكرون صعوبة مراس أهل الأزهر والمشاق التى يعانيها شيخهم لاخضاعهم ولحوا له بأنهم لا يظنونه يقوى عليهم فقال ومن أهل الأزهر ، أنا أدوسهم بقدمىّ فقالوا إنك ستكون مع الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الـكريم سلمان العضوين بمجلس الادارة فهل ترضى بأن يشاركاك فى الادارة ؟ وكيف يكون شأنك معهما ؟ فقال كلا لا أرضى بأن يشاركانى بل أشترط لقبول التولية عزلهما وهما عندى كافران لا يوثق بهما ، فاستغرب الخديو فى الضحك وقال شرطك لا يمكن تنفيذه ، ونحن نريحك من رياسة الأزهر ونعوضك عنها بشئ نجريه عليك من الأوقاف فأسقط فى يده ورضى مرغماً ثم صرفوه

ثم وقعت منه فى أواخر أيامه زلّـة ، قيل إنه تصرف فى وقف بغير وجه شرعى ولـكن الله لطف به فلم يقع له بسبب ذلك غير فصله من القارئ ، وكثرت غمومه وهمومه لما لاكته الألسنة فى هذه المسئلة ، فانقطع عن التدريس لمرض أصابه الى أن توفى بعد ظهر يوم الاثنين ١٨ صفر سـنة ١٣٢٥ ودفن يوم الثلاثاء وأذنوا له على المآذن كالعادة فى موت كبار العلماء ، وقد بلغ من السن نحو خمس وسبعين سنة ، وكان قصيراً دحداحاً خفيف الحركة رحمه الله تعالى وتجاوز عنه .

وله من المؤلفات حاشيته على شرح بحرق على لامية الافعال لابن مالك طبعت بمصر .

قس بن ساعدة الأيادى

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى
مدرس بكلية اللغة العربية بالأزهر

نسبه: قال أبو حاتم السجستانى هو قُسُّ بن ساعدة ابن حذافة بن زفر أو زهر بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان، وقد نقل ابن حجر العسقلانى فى كتاب الاصابة هذا النسب عن أبى حاتم ولكنه ذكر جُذَامة بدل حذافة، وقال صاحب الأغانى هو قس بن ساعدة بن عمرو أو شمر أو عمرو بن شمر بن عدى بن مالك ابن ايدعان بن النمر بن وائلة بن الطمثان بن زيد مناة بن مهدم أو يقدم ابن أفصى بن دعمى بن إياد، فبينه وبين إياد على القول الأول ثلاثة آباء، وبينهما على القول الثانى اثنا عشر أبا أو ثلاثة عشر أبا، وقد يكون النسب الأول هو الثانى مع اختصار فيه، ولكن يبعد هذا وجود أسماء فيه لاتوجد فى النسب الثانى، فلا يكون مع هذا مختصراً منه، ولعل كلا من هذين النسبين يمثل رأياً من رأيين فى قدم قس أوقربه من زمن ظهور الاسلام، فقد ذكره أبو حاتم فى المعمرين، وحكى أنهم قالوا إنه عاش ثلثمائة وثمانين سنة، ونقل المرزبانى عن كثير من أهل العلم أنه عاش ستمائة سنة، ونقل الابشيهى فى كتاب المستطرف أنه عاش سبعمائة سنة، فهو إذا كان قد عاش قبل الاسلام هذه القرون الطويلة (٦٠٠ أو ٧٠٠ سنة) فلابد أنه لم يكن بينه وبين إياد الا نحو هذه الثلاثة الآباء، وإذا كان لم يعمر قبل الاسلام إلا الحد المعقول فى معمرى عصره فيكون بينه وبين إياد ما ذكره صاحب الأغانى من تلك الأصول، وقد يكون قس على القول بقدمه إلى ذلك الحد لم يعمر أيضاً إلا التعمير المعقول، فلا يكون بينه وبين إياد إلا تلك الثلاثة الأصول ولا يكون من رجال ذلك العصر الجاهلى الذى كان قبيل الاسلام، بل يكون عصره أبعد فى القدم منه، ويكون ابتداء ظهوره فى نحو عصر كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار من أجداد النبى صلى الله عليه وسلم، وهو قريب من زمن حوارى المسيح الذين قيل إنه أدركهم، فاذا عاش إلى أن أدرك جداً أو جدين أو ثلاثة بعد كنانة يبقى بعد هذا بينه وبين عصر الجاهلية الذى كان قبيل الاسلام أزمان طويلة

وليس هذا كل ما يحيط بنسب قس إلى الأصل الأول لقبيلته وهو إياد من الغموض، فهناك غموض أشد منه فى صحة نسبته إلى إياد نفسه، ويكاد يقتلعه من هذا الأصل وتلك القبيلة التى أجمع النسابون على أنه منها إلى قبيلة أخرى غيرها، فقد ذكر صاحب الأغانى فى سلسلة نسب قس أفصى بن دعمى بن إياد، وذكر أيضاً فى نسب النابغة الشيبانى أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار فيكون أفصى بن دعمى على هذا من ربيعة بن نزار لا من إياد بن نزار، ويكون قس من ربيعة لا من إياد، ومن البعيد أن يكون أفصى بن دعمى المذكور فى نسب قس غير المذكور فى نسب النابغة، وأن يكون الاتفاق فى اسميهما واسمى أبيهما من باب المصادفة، على أنه روى مع هذا أن الجارود ابن عبد الله لما وفد فى وفد عبدالقيس على رسول الله سأله ياجارود هل فى جماعة عبد القيس من يعرف لنا قسا؟ قالوا كلنا نعرفه، وفى رواية أخرى أنه لما قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله قال لهم ما فعل قس بن ساعدة الايادى؟ قالوا مات يا رسول الله، وفى رواية ثالثة أن وفد بكر بن وائل قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال هل فيكم أحد من إياد؟ قالوا نعم، قال ألكم علم بقس بن ساعدة؟ قالوا مات يا رسول الله، فكل هذه الروايات تفيد اتصال نسب قس بعبد القيس وبكر وهما من قبائل ربيعة، نعم قد يمكن أن تكون إياد مجاورة فى السكن لهاتين القبيلتين فسأل رسول الله وفدها عن قس لمجاورتهما لقبيلته، ولكن هذا لا يكفى فى دفع ما يفيده ظاهر هذه الروايات مع ما يفيده ذكر أفصى بن دعمى فى نسب قس ونسب شيبان وبكر وعبد القيس وغيرها من قبائل ربيعة، بل إن سؤال رسول الله بكراً وعبد القيس عن إياد ظاهر فى أن إياد كلها من ربيعة لا قسا وحده، وربما يؤيد هذا أن إياد لو كانت فرعا مستقلا من نزار لما أمكنه أن يحافظ على وحدته ذلك العهد الطويل، لما تأباه طبيعة بلاد العرب، إذ يعيش فيها أهلها عيشة ارتحال وتنقل، وقد قضت تلك الطبيعة على فرعى مضر وربيعة أن ينقسما إلى مالا يحصى من القبائل، فلا يمكن أن ينجو من تأثيرها فرع إياد على ما يراه النسابون من تفرعه من نزار مع ذينك الفرعين فى ذلك الأمد البعيد، وإذا كانت إياد من

ربيعة فيكون التقاؤها مع قبائلها فى أفصى بن دعمى ، ويكون إياد بعد أفصى لا قبله ، وقد دخل أنساب القبائل تخليط كثير مثل هذا وغيره ، وربما كانت إياد فعلت ذلك عن عمد بعد حروبها مع عبد القيس وغيرها من قبائل ربيعة

قبيلة إياد : كانت قبيلة إياد نازلة فى قديم أمرها بين إخوتها من قبائل معد ، فى تهامة والحجاز ونجد ، وكانت تقيم هى وأنمار معاً فى أرض تهامة ، بين حد أرض مضر إلى حد نجران وما والاها وصاقبها ، ثم نزحت من تهامة فى حرب وقعت بينها وبين ربيعة ومضر فى خانق ، فغلبت فيها وخرجت إلى العراق نزلت فى سواده قرب مكان الكوفة ، فأقامت هناك دهراً ، وانتشرت فى تلك الأنحاء ، وكانت تغزو أهل العراق من العجم وغيرهم ، فلما كان عهد كسرى أنو شروان أغارت على نساء من الفرس فأخذتهن ، فأرسل إليها أنو شروان جيشاً أجلاها عن أرض العراق ، وشتتها فى البلاد ، فنزل بعضها تكريت ، ونزل بعضها الجزيرة ، ونزل بعضها أرض الموصل ، ثم سلط عليها أنوشروان قوماً من بكر ففتكوا بها ، وفرقوها فى أرض الروم ، وبلاد الشام

وقد اشتهرت قبيلة إياد بخطبائها ، وظهور قوة الخطابة فيها ، وكان خطباؤها مضرب المثل فى الفصاحة وقوة البيان ، وفى وصفهم يقول بعض الشعراء :

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحى الملاحظ خيفة الرقباء

فذكر المبسوط فى موضعه ، والمحذوف فى موضعه ، والموجز والكناية ، والوحى باللحظ ودلالة الاشارة . وكانت قبيلة عبد القيس من ربيعة تسامى إياد فى خطبائها ، وشيوع الخطابة بين أفرادها ، ولعل هذا مما يقوى ما رجحناه من اتصال نسب إياد بنسب عبد القيس وربيعة ، ولكن عبد القيس لم تظهر فيها الخطابة إلا بعد أن انتقلت من البادية إلى عمان والبحرين ، حتى قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين : وشأن عبدالقيس عجيب ، وذلك أنهم بعد محاربة إياد تفرقوا فرقتين ، ففرقة وقعت بعمان وشق عمان ، وفيهم خطباء العرب ، وفرقة وقعت إلى البحرين وشق البحرين ، وهم من أشعر قبيلة فى العرب ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا فى سرة البادية ، وفى معدن الفصاحة ، وهذا عجب

ولاشك أن إياد كانت فى سرة البادية مثل عبد القيس ، ثم انتقلت منها إلى العراق ، فالظاهر أن الخطابة لم تظهر فيها إلا بعد أن انتقلت من البادية مثل عبدالقيس ، وقد علل ذلك بأنهم حينما تركوا سرة البادية جاوروا الأعاجم فى تلك الأماكن ، وكان الأعاجم أهل خطابة وكتابة ، ولهذا كثر الخطباء أيضاً فى اليمن عند اختلاط أهله بالفرس الذين أتى بهم سيف بن ذى يزن لاخراج الحبشة منه ، وهذا يفيد أن الخطابة العربية مأخوذة من الخطابة الفارسية مع أن الجاحظ قال فى موضع آخر فى الموازنة بين خطابة العرب وخطابة الفرس ، وبيان الأمم التى انفردت بالخطابة : « وجملة القول أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس ، وأما الهند فانما لهم معان مدونة ، وكتب مجلدة ، لا تضاف إلى رجل معروف ، ولا إلى عالم موصوف ؛ ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق ، وكان صاحب المنطق نفسه بكىء اللسان ، غير موصوف بالبيان ، وفى الفرس خطباء إلا أن كل كلام لهم فانما هو عن دراسة وطول فكرة ، ومشاورة ومعاونة ، وحكاية الثانى علم الأول ، وزيادة الثالث فى علم الثانى ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم ، وكل شئ للعرب فانما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ومكابدة ، وخطباؤهم أوجز ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ ، أو يحتاجوا إلى تدارس ، وليس هو كمن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله »

وإذا كان هذا شأن خطابة الفرس وخطابة العرب ، فأين إحداها من الأخرى ؟ وكيف أخذت الثانية من الأولى ، وهما يختلفان هذا الخلاف ، ولا يوجد بينهما أدنى شبه يدل على تأثر إحداها بالأخرى ، واحتذاء خطباء العرب بخطباء الفرس فى الخطابة ؟ ولا يؤثر فى هذا أنا لا نسلم للجاحظ مازعمه من انفراد الفرس والعرب بالخطابة ، وانفراد العرب بالقدرة على ارتجالها ، فقد يوجد فى غير العرب من يقدر على ارتجال الخطابة فى لغته ، وقد يكون فى العرب من لا يخطب إلا بعد ترو وتدبر ، ولكن العرب لشيوع الأمية فيهم ، كان يقل من يذهب هذا المذهب فى خطبائهم

فلم يبق إلا أن نعلل ذلك بأن أخبار هذه القبائل قبل انتقالها

من البادية بعيدة عنا ، ولم يصل الينا إلا قليل منها ، فما يدرينا أنها لم يكن فيها خطباء حين كانت بسرة البادية ؟ ولعله كان لها من الخطباء فيها ما لا يكون هناك محل لتعجب الجاحظ أو غيره منه

دراسة حياته : إذا رجع الباحث الى ما كتب عن قس فى كتب الأقدمين المختلفة لا يمكنه أن يؤلف من الأخبار التى وردت فيها عنه سيرة صحيحة ، متلائمة غير متدافعة ، متصلة غير منقطعة ، لها بداية معروفة ، ووسط غير مجهول ، ونهاية ليست غامضة ، وانما هى أساطير لايمكن أن يعرف منها يقيناً زمنه متى بدأ ؟ ومتى انتهى ؟ ولا مكانه فى تلك الأمكنة التى تنقلت فيها قبيلته ؟ وهل كان يعيش بينها ؟ أوكان يعيش بين قبيلة أخرى غيرها ؟ أو كان يعيش هائماً متنقلاً لا يقر فى مكان ؟ فقد ورد أنه أدرك حوارى عيسى عليه السلام ، ولكن ورد مع هذا أنه أدرك محمداً صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ، بل ورد أنه أدركه بعدها وآمن به وعد من أصحابه ، ولا يمكن أن يكون قد أدرك هذين العهدين المتباعدين إلا اذا صدقنا أنه عُمّر حوالى ستمائة سنة ، كما يذكر هذا من يعده فى مُعَمّرى العرب ، وهذا أمر لا يمكن تصديقه ، ولم يحدث مثله من عصر الحواريين الى العصر الذى نعيش فيه الآن

وورد أيضاً أنه كان أسقف نجران ، فلا بد أنه كان يعيش عيشة مألوفة بين أهلها من النصارى ، ولكن أين اياد من نجران وقد كانت إياد مستقرة بالعراق فى الزمن الذى ظهرت فيه النصرانية بنجران ؟ بل أين هذا مما يروى من أنه لم يكن تكنه دار ، ولا يقره قرار ، ويتحسى فى تقفره بعض الطعام ، ويأنس بالوحوش والهوام ، وأخبر بعضهم أنه رآه على جبل بالشام يقال له سمعان ، فى ظل شجرة الى جنبها عين ماء ، فاذا سباع كثيرة وردت الماء لتشرب ، فكلما زأر منها سبع على صاحبه ضربه بعصا ، وقال كف حتى يشرب الذى سبق ، قال فتداخلنى لذلك رعب ، فقال لى لا تخف ليس عليك بأس ، ورووا أنه كان يفد على قيصر زائراً فيكرمه ويعظمه ، وقد سأله مرة ما أفضل العلم ؟ قال معرفة الرجل بنفسه ، فقال له فما أفضل العقل ؟ قال وقوف المرء عند علمه ، فقال له فما أفضل الأدب ؟ قال استبقاء الرجل ماء وجهه ، فقال له فما أفضل المروءة ؟ قال قلة رغبة المرء فى اخلاف وعده ، فقال له فما أفضل المال ؟ قال ما قضى به الحق

وهذا كل ما يروونه عن قس فى حياته ، يحيط به الغموض فى بدئه ، ويستمر متمشياً معه ، ثم يلازمه الى نهايته ، فلا تنتهى حياته بين قبيلته إياد ، ولا بين أتباعه الذين كان فيما يقال أسقفا عليهم فى نجران ، بل يقال إنه توفى بروحين فى لِحْف جبل بها ، وهى قرية قريبـة من حلب ، وله بها مشهد يزوره الناس ، ويقصدونه بالنذور ، وله أوقاف محبوسة عليه ، وقد زاره أبو جعبل الألبيرى فقال فيه :

هذى منازل ذى العلا	قس بن ساعدة الايادى
كم عاش فى الدنيا وكم	أسدى إلينا من أياد
قد نالها بحلى البلا	غة مفصحاً فى كل ناد
قد قرّ فى بطن الثرى	متفرداً بين العباد

وقد قدروا له السنة التى توفى فيها سنة ٦٠٠ م وذلك قبل الهجرة باثنتين وعشرين سنة

ولكن هذا الغموض الذى يحيط بحياة قس من بدئها الى نهايتها ، وهذه الأخبار القليلة التى لا يمكن أن يؤلف منها لقس سيرة متصلة تعرف منها أطوار حياته طوراً فطورا ، كل هذا لا يمكن أن يتفق مع عيش قس فى هذا الزمن القريب من ظهور الاسلام ، فكل رجال هذا العصر من شعراء وغيرهم معروفون لنا ، وقد وردت إلينا أخبارهم معلومة مفصلة . ولا تحيط بها هذه الأساطير من كل ناحية ، ولا يتفق مع هذا إلا مارجحناه فى نسب قس من إدراكه عصر الحواريين ، وتعميره فيه التعمير المعقول فى مثل هذا العصر ، فتكون وفاته قبل الاسلام بتلك الأزمنة المتطاولة ، التى تسمح بهذا الغموض الذى يحيط بحياة قس على شهرته وظهور أمره ، نعم قد روى حديث قس وسماع النبى له فى سوق عكاظ من طرق متعددة ، وقد أفرد بعض الرواة طريقه وفيه خطبة قس وشعره ، وهو فى الطوالات للطبرانى وغيرها ، ولكن ابن حجر العسقلانى ذكر فى كتاب الاصابة ، أن طرقه كلها ضعيفة ، فلا يحتج بها فى مثل ذلك

عقيدته : قد ذكر الأب لويس شيخو اليسوعى قساً فى كتابه (شعراء النصرانية) وقد ورد فيما روى من أخبار قس أنه كان أسقف نجران ، وقد ذكر الجارود بن عبد الله فيما وصفه

به للنبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يلبس المسوح ، ويتبع السياح على منهاج المسيح ، لا يغير الرهبانية ، مقراً بالوحدانية ، تضرب بحكمته الأمثال ، وتنكشف به الأهوال ، وتتبعه الأبدال ، أدرك رأس الحواريين سمعان

ولا شك أن الأب لويس لا يعنى بالنصرانية التى يثبتها لقس إلا هذه النصرانية التى تكاد تتصل بموت المسيح عليه السلام ، ومن أهم أصولها عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء ، وما الى هذا من أصول هذه النصرانية ، ولا شك أن الأخبار التى وصلت إلينا عن قس ، والآثار التى وردت إلينا عنه فيما كان يدعو العرب اليه ، لا تفيد أكثر من أنه كان يدعوهم الى التوحيد ، والايمان بالبعث والحساب ، ولم يرد فيها أنه كان يدعو الى عقيدة التثليث والصلب والفداء ونحوها ، وهى العقائد التى لا تثبت النصرانية التى يريدها القس لويس إلا بها ، بل لم يرد فيها أنه كان يدعو الى الايمان بعيسى عليه السلام ، وإنما ورد أنه كان يبشر العرب بدين جديد قرب ظهوره بينهم ، فلا يمكن أن تكون عقيدته هذه النصرانية التى يدعو الى دين بعدها ، وهى ترى أنها خاتمة الأديان ، وأن عيسى هو آخر الأنبياء الذى بشر به موسى عليه السلام ، فلا يمكن بعد هذا أن يكون قس أسقفا على نصارى نجران ، إلا أن تكون نصرانيتهم نصرانية أخرى غير هذه النصرانية ، ولكن الذى يفيده التاريخ أنها كانت من نصرانية الروم والحبشة ، ولهذا حاربوا أهل اليمن من أجلها ، ومع هذا فقد أثبتنا أن قساً كان أقدم من ظهور النصرانية بنجران ، ثم انه كان من إياد وكان أهل نجران من اليمن ، فلا يقبلون رآسة مثله عليهم ، لما كان من العصبية بين العدنانيين والقحطانيين ، وأما خبر الجارود إن صح فلا يفيد إلا أنه كان مثل عيسى فى ذلك ، وقد ورد فى بعض الأحاديث تشبيه أبى ذر الغفارى بعيسى فى زهده وترهبه

فلا يعدو أمر قس إلا أن يكون من قدماء الحنفاء الذين ظهروا فى بدء انحراف العرب عن ملة ابراهيم الى الوثنية ، فكان يدعوهم الى ملة أبيهم ابراهيم ، ويحارب فيهم هذه البدعة ، وهكذا كان شأن كل أولئك الحنفاء فى العرب ، وهذه كانت وظيفتهم فيهم ، وقد حاول الأب لويس فى كتابه (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية) أن يلحق كل أولئك الحنفاء بالنصرانية ولا يخفى أن شأنهم فى ذلك مثل شأن قس بن ساعدة

خطابته : كان قس خطيب العرب وحكيمها وحَكَمَها فى عصره ، وكان على شهرته بالخطابة يقول الشعر ، فاذا خطب أتى فى خطابته بشىء من شعره ، يناسب موضوع خطابته ، وقد جدد فى الخطابة العربية بعض أمور تنسب إليه ، منها أنه أول من قال فيها (أما بعد) وبعضهم ينسبها لغيره ، وقد نسبت لداود عليه السلام ، وفسر بها قوله تعالى (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) ولكن أسلوب الكلمة عربى خالص ، ولغة داود كانت عبرية ، وانما عظم شأن هذه الكلمة فى الخطابة وغيرها ، لأنها تساعد على الانتقال من غرض الى غرض فيها ولا تحوج الخطباء فى ذلك الى تكلف مناسبات طامية لا تقف فيه عند حد ، ويصعب على كل واحد فيه أن يأتى بما لم يأت به غيره ، وانما تحسن (أما بعد) فى الخطابة والكتابة دون الشعر ، لأنها أسلوب نثرى ، ولأن الشعر فيه من آثار الفنون ماليس فى الخطابة والكتابة ، فيحسن التفنن فيه ، ويقبح التزام أسلوب واحد فى التنقل بين أغراضه . ومما ينسب الى قس أيضاً أنه أول من خطب على شرف ، وأول من اتكأ فى خطابته على سيف أو عصا ، وأول من كتب من فلان الى فلان

ولم يبلغنا من خطابة قس إلا قدر قليل لايمكننا أن نعرف منه تماما كنه خطابته ، ولا المميزات التى تمتاز بها من غيرها ، ولا الدرجة التى يستحق أن يوضع فيها قس بين خطباء العرب ، وإن كان قس فى الخطابة مضرب المثل ، وان كان الناس قد أجمعوا قديماً وحديثاً على تقديمه فيها ، وقد قال فيه أعشى قيس :

وأحكم من قس وأجرأ من الذى
بذى الغيل من خفان أصبح خادرا

وقال الحطيئة :

وأقول من قس وأمضى اذا مضى
من الرمح اذ مس النفوس نكالها

وقد يمكننا أن نحكم من القدر الذى وصل الينا من خطابة قس حكماً تقريبياً بأنه كان يعنى بالخطابة الدينية أكثر من غيرها ، فكانت أكثر خطابته فى الدعوة الى التوحيد ، والايمان بالبعث والحساب ، وما الى ذلك مما كان يدعو العرب اليه ، كما يمكننا أن

تحكم أيضاً بأنه كان يؤثر فيها الألفاظ السهلة على غيرها، وكذا السجع القصير الفواصل لما له من التأثير في النفوس، وما كان له في ثقافته وعلمه وحكمته واشتغاله بهذه الدعوة العامة، إلا أن يدع التكلف في خطابته، ويخاطب الناس بهذه السهولة التي يفهمونها، وقد أنكر عليها بعض أدباء عصرنا هذه السهولة، فحكم بأنها خطابة إسلامية مختلقة على قس، وليست خطابة جاهلية ملائمة لما كان في هذا العصر من بداوة وخشونة، ولا يخفى أنه لا يمكن أن يستقل عصر من العصور بالتأثير في خطبائه أو شعرائه، وإلا وجب أن تتحد مسالكهم فيه، وألا يختلفوا في أساليبهم من حيث السهولة والشدة وغيرهما، وكم كان في الاسلام من خطباء يؤثرون الشدة في خطابتهم، وخطباء يؤثرون فيها السهولة على الشدة، فلا بدع في أن يكون بجانب الشدة في عصر الجاهلية تلك السهولة، وأن تجتمع فيه كما اجتمعت في غيره الرقة والخشونة.

عبد المتعال الصعيدي

عرس الورد

شذى الخزامى وريا النرجس العطر ... سرت بها نسمات الروض في السحر
والفجر قاد جيوش النور منتصراً ... والليل أدبر لا يلوي على أثر
إلا بقايا نجـوم وهي حائرة ... في أفقها ورشاش من سنا القمر
سرى فأنعشني ريح الصبا سحراً ... فرحت أستعرض الماضي من الذكَر
والذكريات كأسراب القطا كُثُرٌ ... لما تحوم على الغدران والنهَر
والقلب كالطير قد أرداه صائده ... بين الضلوع خفوقاً خفق محتضر
أهيم والشوق يطويني وينشرني ... والدمع طافٍ بجفني غير منهمر
حتى مررت بروض شاق منظره ... قد أتقن الصنع فيه حذق مقتدر
لا الشعر وافٍ ولا التصوير يدركه ... وإن سمت ريشة الفنان في الصور
هنا الغصون بأعطاف لها رقصت ... مثل الكواعب ذات الدلّ والحور
والعندليب يغنيها فيُسمعها ... أشجى النشيد بلا عود ولا وتر
والزهر في مهرجان ريحه عبق ... ما بين منتظم زاهٍ ومنتثر
والحوض يبدو كمرآة قد انعكست ... في وجهها صور الأفنان والثمر
أو خد عذراء لم يجذب بتطرية ... اذا تدلت عليه خصلة الشعر
وقفت بالباب والأشواك تحرسه ... أسائل الطائر الشادي عن الخبر
فأومأت مورقات الدوح مخبرة ... تزوج الورد بنت السوسن النضر
فالورد في حمرة الجلباب متشح ... أما العروس ففي بيض من الأُزر
يحنو عليها وأحياناً يقبلها ... كمدنف آب للأحباب من سفر
كلاهما ليس يخشى عين مرتقب ... في الحب او قول واش في الهوى أشر
يداعبان ضياء الشمس في شغف ... وظلمة الليل في أنس وفي سمر
روحان قربت الأشواق بينهما ... على اقتراب من الريحان والزهر
والكل جذلان لا الأيام توحشه ... ولا تبدل صفو العيش بالكدر
ثم التفت الى نفسي وقد عصفت ... فيها الهموم وأذوت زهرة العمر
بيني وبين الليالي ما يكدرني ... كأنني جئت ذنباً غير مغتفر
فقلت ياليتني في الروض زنبقة ... أو بعض ورد ولم أخلق من البشر

دمشق **عبد الجبار جومرد**

لوعة الربيع

وقفتُ – ولم أقصد – على ضفة النهر ... وطرفي ممتدّ إلى حيث لا أدري!
وفي النفس ما فيها! عواطف جمّة ... يضيق بها صدري، ويعيا بها فكري
عواطف، لا أدري حقيقة أمرها ... ولكنها بين الكآبة والشعر!
أراقب سير الموج، والريح سجسجٌ ... تعابث وجه الماء، وهو بها يزري
ودجلة يجري في جلال وروعةٍ ... وعزم كعزم الدهر، كرّاً بلا فرّ
تطلّ عليه الشمس من خلف رفرفٍ ... – على الضفة الأخرى – من النخل والسدر
فينساب، لا يلوي على ما وراءه ... كأن به شيئاً من التيه والكبر
يجرّ على الشطّين فضل غلالةٍ ... من الموج، كالأملاك في غابر الدهر
رزين، قويّ، يملأ النفس هيبة ... وقور، فسيح الصدر، متزن السير
تخيّل لي – والماء ينساب جارياً – ... كأن حياة بين أثنائه تجري
ولو كان ذا روح، لعمرك – لم يكن ... بأهيب منه وهو يجري، ولا يدري!
تخزّلت وجهي، ساكنَ النفس صامتاً ... سوى خفقان خافت الجرس في صدري
فما هاجني إلا جلالة موكبٍ ... تسير به شمس الأصيل الى الخدر
وقد برزت في حلة من شعاعها ... مذهبةٍ، في منظر فاتن مغرِ
ومن خلفها، يحملن فضل ازارها ... جوار من السحب المنوّرة الأزر

ودرتُ بعيني حول نفسي فلم أجد ... سوى كلّ ما عند الطبيعة من سحر
فذى الأرض كيف ازّينت وتجملت ... بثوب من الأعشاب رصّع بالزهر
وهذا النسيم الرطب، نشوان فارح ... بما نال عند الزهر من عاطر الذكر
وهاتيك أرواح تجوّلُ فى الفضا ... ء محسوسة التأثير، مجهولة الأمر
لعمرك ما أدرى ! أأرواح جِنّة
ترفرف، أم روح الربيع انبرت تسرى
أم السحر هذا، أم خيالات شاعر ... سبت لبّه أشباح آلهة الشعر
وذانك عصفوران من خلف دجلة ... يطيران فى جوّ من الحب والطهر
وتلك حمامات ينحن نوادباً ... يساجلن فوق الدوح صادحة القمر
وكلٌّ بتمجيد الطبيعة هاتفٌ ... مُهنٍّ بميلاد الربيع ابنها البكر
بدت تعلن البشرى بشتّى لغاتها
فذا الطير بالنجوى، وذا الزهر بالنشر
وتلمح حتى للجماد بشاشة ... ووجهاً ودوداً يستميلك كالسحر !
حياة لعمرى لامست كل ميت ... تحسّ بها نفسى، وينكرها فكرى!
فما لك ياقلبى كأنك نائم ... تساورك الأحلام غامضة السر ؟
لئن كنت فى ليل الطبيعة راقداً ... شتاءً، فأنت اليوم فى غرة الفجر

***

حنانيك هذا يومك المرتجى فقم ... وباكر لذاذات الهوى الطامح العذرى
حرام علينا أن يمرّ بنا سدى ... ولم نقض منه مأرب الشاعر الحر
فجارِ الملا إن كنت منهم ومثلهم
وطرْ فى الفضا ان كنت من زمرة الطير
ونُح بالأسى إن كنت أسوان يائساً ... وبح بالهوى إن كنت صبا أخا ضرّ
وفيم الأسى واليأس — والكل منقض ؟
وأنت لدى عيدين جاءا على الأثر
فهذا ربيع للطبيعة ناضرٌ ... جميل المحيا، زاهر، باسم الثغر
وهذا ربيع للشباب محببٌ ... بأحلامه، حلو المنى، ناعم البشر
وما العمر الا مدة ثم تنقضى ... كحلم، بما فيها من الخير والشر
لقد فاتنى ما قد خلقت لأجله ... وأدركنى ما يرتجى نيله غيرى
فما طعم عيشى ؟ لاشقاء ولاهنا ... ولا يأسة تقضى ولا أمل يغرى !
حنانيك فامرح فى الضلال أو الهدى
وهبتك ما تهوى فما لك من عذر
وخذ قسطك الأوفى من الأرض والسما
من الرَّوح والريحان والنور والنَّور

العراق — العمارة **عبد الحق فاضل الصيدلى**

من الأدب الهندى

البغــــاء

لشاعر الهند الأكبر طاغور

ترجمة الأستاذ مصطفى كامل المحامى

كتب طاغور هذه القصيدة التى نترجمها اليوم منذ بضع سنين فى بنغالى تحت عنوان «البغاء» وقد فهم بعض الناس فى الهند عند قراءتها أنها رمز لاذع عن النظام المدرسى المدخل بالهند، ثم انتشرت هذه القصيدة فى بلاد أخرى من آسيا فقال الناس «من الممكن أن الشاعر قد أراد بشعره أن يشير الى النظام الذى أدخل فى بلادنا» ورأى آخرون أن غرض النظام الذى أدخله الأوربيون فى آسيا هو الحصول على النتائج التى نجحت مع البغاء؛ وتصايح بعض الأوربيين «أرأيتم الام يؤدى الأمر اذا أردنا أن ندخل التعليم العالى فى شعب لا يفهم شيئاً من مبادئنا التعليمية العالية» ثم يديرون رؤوسهم والرضى ملء نفوسهم، وقليل ماهم الذين أدركوا أن ببغاءهم أيضا ينحدر إلى الموت فى نفس الوقت.

— ١ —

كان عصفوراً شديد الجهالة يهزج كل يوم، يقفز ويطير من هنا وهناك، دون أن يعنى بالعلم أو حسن السلوك.

فقال الملك يوماً لا يصلح هذا العصفور لشئ، وهو يحدث مع ذلك اضرار جمة، فيتلف ثمار الحديقة الملكية؛ واستدعى فى الحال وزيراً وأمر أن يُعلم العصفور أحسن التعليم.

— ٢ —

كلف ابن أخى الوزير بتعليم العصفور، فعقد العلماء أولاً مجلسهم، ثم تباحثوا وتجادلوا دون انقطاع، فى الأسباب الحقيقية لجهل العصفور؛ وقرروا أخيراً أن عش الطائر المصنوع من الخشب، شديد الضيق فلن يسع العلم العريض، ورأوا قبل كل شيء أن يصنع له قفص جميل.

— ٣ —

استدعوا صائغاً ليصنع قفصاً من ذهب، فجاء آية فنية مثيراً للاعجاب، حتى بادر الناس من كل فج لرؤيته وقالوا: «سيتاقى العصفور أخيراً تعليماً حسناً»؛ وصرح آخرون: «حتى ولو لم ينل أحسن التعليم، فانه الحظ أن يكون له قفص جميل! ما أسعد جد هذا العصفور! ورجع الصائغ سعيداً ملء اليدين من حسن

الجزاء ، وابتدأ الأستاذ درسه بعد أن جذب نفساً من غليونه ، وقال لابدلى من مكتبة . فدعا ابن أخى الملك نساخى البلاد ، فنسخوا ونقلوا الكتب حتى تجمع منها الكثير ، فقال كل من رأى هذه الأسفار:

« مرحى سيكون له الآن من المعرفة قدر وفير » ، ورجع النساخون بجوائز طردت عنهم إلى الأبد شر الفاقة .

وبذل الوزير لهذا القفص الثمين من ضروب العناية ماليس له حدود ، حتى جهر الناس جميعاً وقالوا : سيتقدم التعليم بكل هذى الجهود ، وتوفر على العناية بهذا القفص كثيرون ، ولرقابة هؤلاء توفر نفر أكثر ، وفازوا جميعاً بأسنى الهبات والعطايا .

— ٤ —

تنقص الدنيا أشياء كثيرة ، إلا أن الساخطين لا ينقصهم أن يهمسوا ، « إن القفص معنى به كل العناية ، لكن العصفور على مايظهر مهمل » ؟ وبلغ الهمس آذان المليك .

فاستدعى الوزير واستخبره معنى هذا الهمس ، فقال الوزير :

« يامولاى ، إذا أردتم معرفة كل الحقيقة ، فاستدعوا المعلمين والنساخين والصائغ والرقباء على القفص ومراقبى الرقباء وقد قال الساخطون ماقالوا ، لأنهم يتضورون من الجوع » ، فاقتنع الملك وجزى الوزير ، فاهدى سلسلة من الذهب اليه .

— ٥ —

وتاق الملك يوماً الى معرفة نجاح العصفور ، فتوجه الى المدرسة فى حفل من الوزراء والأصدقاء والندامى ، وأذاعوا زيارة الملك فى الأبواق ، ودقت النواقيس المعلقة فوق المدرسة ، وأخذ العلماء يرتلون الأجزاء المقدسة ، وهتف البناؤون والعمال والنساخ والصائغ فى صوت واحد « ليحى الملك » .

وقال الوزير « مولاى ! انظر ! »

فأجاب الملك « مدهش ! ولكن ما هذه الضوضاء ؟ »

فقال الوزير : ليست هذه ضوضاء فحسب ، فان وراءها معنى خبيئاً ؛ وطرب الملك كثيراً وجاز الدهليز ، وحين أراد امتطاء الفيل خرج الناقد من مخبئه خلف شجيرة وقال بخبث : « هل رأيت العصفور يا مولاى ؟ »

فأجفل الملك وقال : « لم أر العصفور حقاً » وكر راجعا مع الأساتذة وهو يقول : « أريد أن أعرف الطريقة التى اتبعتموها فى تعليم العصفور ، فلما رآها الملك وجدها بديعة ، ولم يلاحظ نقصاً فى شىء ، كما أن الأوامر كلها مرعية ، ما كان فى القفص ماء ولا حب ، وإنما كان يحشى فم العصفور بأوراق الكتب ، فلم يعد قادراً على التغريد ، إذ لم تبق أدنى فرجة يخرج الصوت منها ؛ وما كان أبشع المنظر ! وقبل أن يمتطى الملك الفيل أمر بالناقد فلكمه جنده .

— ٦ —

وغدا العصفور دقيقاً رقيقاً على مر الزمن حتى بدا كالميت ، لكن الحراس ظنوا أنه مازال هناك أمل ، والتفت العصفور نحو الضوء فى الصباح ، ورفرف بالغريزة على حائط القفص بجناحيه ، وحاول أن يقطع أسلاك القفص الذهبية بمنقاره الواهن ، فصاح الحارس : « أى حمق ! » وأسرع فأحضر الحداد فصنع أسلاكا من الحديد ، ثم قصوا جناحى الطائر .

وقال أصدقاء الملك وهم يهزون الرءوس : « ليست طيور هذه المملكة جاهلة فحسب ، وإنما تجمع إلى الجهل نكران الجميل » ، وعاود المعلمون واجبهم باليقين الراسخ ، ورجع الحداد قريراً بالعطاء الجزيل ، والحارس القانع بالراتب المبذول جزاء انتباهه

— ٧ —

وقضى العصفور ، ولم يعرف أحد متى مات ، واذاع الناس قالة السوء ، واستدعى الملك ابن أخيه يسأله عما حل بالعصفور :

— إن تعليمه قد تم يامولاى

— الا يقفز الآن ؟

— كلا !

— أما زال يطير ؟

— كلا !

— أيغني ؟

— كلا !

— فماذا يفعل إذا جاع ؟

— لا شئ

— أحضره إلى فانى أريد أن أراه

وأحضروه إلى الملك فلمسه وضغطه دون أن يظهر الطائر علامة على الحياة الا حفيف الورق الذى حشوا به معدته ، على حين اهتزت أوراق الشجر وقد مرت بها نسمة من نسمات الربيع !

« طاغور »

العلوم

خلق المادة فى الكون

بقلم فرح رفيدى

أين يخلق الكون؟ — كيف توصل ملكان (Millican) الى اكتشاف مصدر الأشعة الكونية وبناء نظريته فى خلق المادة فى الكون؟

فى الفضاء خليط من المؤثرات التى تفعل فعلها فى الأجسام والأشياء وهى مستترة فى الأثير، لا ترى وكأنها ترى، كائنة وكأنها غير كائنة. وهى مزيج من الاشعاع المنبعث من جميع الجهات. فإشعاع من الشمس تراه العين وتحس به، واشعاع آخر من الشمس لا تراه العين ولا تحس به، وأشعة مصدرها الأرض وأخرى مصدرها النجوم والشمس، أشعة إكس وأشعة الراديوم، والأشعة الكهربائية واللاسلكية وأشعة الحرارة. وكل هذه تنطلق بسرعة متناهية فى الفضاء ونحن لا نشعر بها ولا ندرى حركتها. ولهذه الأشعة تأثير خاص فى الهواء المحيط بنا وبها وخصوصاً الأشعة ذات الموجة القصيرة كأشعة أكس أو الراديوم، فانها تحلل الهواء الى ذرات مكهربة تكهرباً سلبياً أو ايجابيا (positive and negative charge). والذرات المتشابهة بالكهربائية تتنافر من بعضها كلما تقاربت، والذرات المختلفة الكهربائية تلتصق وتتحد فى تلاقيها وبذلك تفقد صفة التكهرب وتصبح مادة فى حالتها الطبيعية.

***

لقياس مقدار تكهرب الهواء أو تحلله الى ذرات من تأثير هذه الأشعة توجد آلة خصوصية تقيس الكهربائية الى درجة دقيقة جداً. وهذه الآلة هى (الالكتروسكوب). جرب أحد العلماء أن يمنع الأشعة المعروفة من دخول هذه الآلة ليرى هل يبقى تأثيرها فى الهواء أم يتلاشى باختفائها ومنعها، فوضع الآلة فى داخل صندوق من الرصاص الغليظ ليمنع دخول أقوى أشعة معروفة، فوجد بعكس ما توقع من أن الآلة ظلت متأثرة بالرغم من احاطتها بالرصاص فاستنتج من ذلك وجود أشعة أقوى من الأشعة المعروفة قدرت أن تخترق سماكة الحائط الذى بناه وتتصل بالآلة التى وراءه.

ظل هذا الاكتشاف سبع سنوات غامضاً، الى أن قام رجل سويسرى سنة ١٩١٠ وصعد الى علو ٤٥٠٠ متر ومعه الالكتروسكوب، فوجد خلاف المنتظر، بأن تكهرب الهواء. أو تأينه (تحليله الى ذرات مكهربة تسمى الوحدة منها أيون "ion") ازداد مع ارتفاعه. فقد ظن أن مصدر هذا التأثير أشعة منبعثة من الأرض وليست من السماء، فعلى ذلك مقدار التأين يجب أن يقل بدلاً من أن يزداد مع الارتفاع. بعد ذلك بقليل قام المانيان (Hess and Kolhorster) وطارا الى علو ٩ كيلو مترات فوجدا أيضاً ذات النتيجة.

لم يكن (ملكان Millican) العالم الأميركى أثناء ذلك ساكتاً عن هذه التجارب ونتيجتها الواحدة، بل أثرت عليه كل التأثير، وحفزته للعمل بأن يقوم بهذه المهمة فى اكتشاف أصل هذا التأثير ومصدر تلك الأشعة التى لم تكن فى الحسبان ولم تخطر على بال. فقام فى سنة ١٩٢٦ مع مساعدة (Bowen) وصعد منطادين صغيرين فى الفضاء الى علو ١٥ كيلو متراً. وكان المنطادان مرتبطين الواحد بالآخر، وحجم أحدهما مصنوعاً بالقدر الذى ينفجر فيه عند العلو المطلوب، والآخر كان ليقل الأدوات الأوتوماتيكية لقياس وتقييد التأثيرات الجوية ولارجاعها بعد بلوغ علوها الى الأرض سالمة. فكان من هذه الآلات الالكتروسكوب لقياس الكهربائية والترمومتر للحرارة والبارومتر لمقدار ضغط الهواء، والالواح الفتوغرافية المختلفة لتنطبع عليها صور التأثيرات المختلفة، ثم الآلة التى تسير كل هذه الأجهزة حركة أوتوماتيكية مطردة. ومع كل ذلك فان وزن المنطادين مع مافيهما من غاز وآلات متعددة

لم يزد على ١٩٠ جراماً أو ما يعادل ٥٠ درهماً تقريباً . وذلك مما يدل على دقة الصنع والتركيب ويبين مقدار اهتمام ملكان بالتجربة وتفرّغه لها . والنتائج التي ظهرت من هذه التجربة أتت مطابقة للتجارب الأولى . فلم يَعُد بعدُ شكٌّ في وجود أشعة خفية دقيقة ذات تأثير عظيم .

على أن ذلك لم يقنع ملكان قط ، ولم يقلل من شوقه لمعرفة تلك الأشعة وما اليها . فني ذات السنة التي أجرى فيها تجربة المنطادين ، صعد بالألكتروسكوب الى قمم جبال مختلفة العلو في أميركا ، ليرى تماماً مقـــدار اختلاف التأين باختلاف معين في الارتفاع . وقد تحقق من ذلك شيئان : الأول أن قوة الأشعة تزداد مع الارتفاع ، وذلك يؤكد بأن مصدرها ليس هو الأرض بل السماء . والثاني أن هذه الأشعة ليست متجانسة ، بل من ثلاثة أنواع ، تختلف عن بعضها بقوة نفوذها في الهواء ، فمنها لقوتها من قدرت أن تخترق الهواء كله وتصل سطح الأرض ، ومنها من استطاعت فقط أن تنفذ في بعض الطبقات العليا غير المتكاثفة ، والأخيرة لضعفها لم تقدر على التعمق كالأولين فظل تأثيرها محصوراً في الطبقات الرقيقة من الهواء .

تجارب في الفضاء وفوق سطح الأرض أكدت أن الأشعة آتية من فوق ، ولكي يتحقق من ذلك أكثر، خطر للملكان أن يجريَ تجاربه في داخل الأرض تحت الماء . فوضع الكتروسكوباً أدق من الأول في صندوق من الرصاص يحتمل الضغط على عمق ٦٧ قدماً في الماء ، أي يحتمل ضغط كيلوجرامين لكل سنتيمتر مربع . فاذا كان مصدر هذه الأشعة حقيقة من الفضاء فالتأثيرات تحت الماء يجب أن تقل كلما ازداد الاناء عمقاً ، لأنه كلما نزل الاناء في جوف الأرض بعد عن مصدر الأشعة ، وبذلك ضعف تأثيرها على الهواء بحكم المسافة البعيدة التي تقطعها . والنتيجة أتت — كما توقع — أي أنهـــا كانت تضعف تدريجيا في نزولها تحت الماء . وقد وجد من اختراق هذه الأشـــعة جميع طبقات الهواء ، ومن نفوذها ٥٠ قدماً في الماء . أن لها من القوة ما يعادل ١٠٠ ضعف قوة أشعة إكس ، وأن طول موجتها أصغر من طول موجة الثانية ب ٥٠٠٠ مرة تقريباً . وهي لذلك قادرة على اختراق حائط من الرصاص عرضه متران .

أجرى بعد ذلك ملكان تجارب متعددة في الليل والنهار ، وفي أوقات مختلفة من الليل وأوقات مختلفة من النهار ، وفي ضوء القمر وتحت ستر الظلام والنجوم بكثرتها لامعة مشعة ، وفي أمكنة بعيدة عن الجبال وعن المدن ، وفي المغاور حيث لا تدخلها الشمس ، ولا ينفذ اليها شعاع النجوم ، وفي الصيف تحت تأثير حرارة الشمس المحرقة ، وفي الشتاء تحت تأثير البرق والرعد ، ليرى هل لكل هذه الأشياء والظواهر الطبعية تأثير خاص على الأشعة وقوة انفعالها في الهواء . فوجدها غير متأثرة بها جميعاً . فكان تأثيرها واحداً صيفاً وشتاءً ليلاً ونهاراً ، وما كان ليفرّق بين تأثير وتأثير الا الارتفاع والهبوط . فاستنتج من ذلك أن الشمس والنجوم ليست مصادر هذه الأشعة .

ذكرنا أن التجارب دلت على وجود ثلاثة أنواع من هذه الأشعة ، تختلف عن بعضها بقوة نفوذها . وقد وجد ملكان من الحقائق التي توصل اليها أن نسـبة هذه القوى الى بعضها كنسبة الأرقام الثلاثة هذه : ٦٣٥ . ٨ : ٦ . ٤ : ٦ . ٦ . الى بعضها . وكل رقم منها يُشير الى نوع من هذه الأشعة . وقال ملكان من حيث أن الأشعة لا تأتينا من الأرض أو من النجوم والشمس فلابد من أن تكون صادرة عن أحوال ومقتضيات مضادة للأحوال والمقتضيات التي في جوف الشمس أو في داخل النجوم . وبما أن الأحوال في الشمس تدعو الى انصهار وهدم المادة من شدة الحرّ والضغط فالأشعة هذه يجب أن تكون ناتجة عن بناء المادة وتركيبها من ذرات (الكترونات وبروتونات) في أماكن بعيدة عنا في الفضاء ، حيث تقرب درجة الحرارة من الصفر المطلق Absolute Zero—273 ° C.

قسّم آستون العالم السويدي جميع العناصر المتركب منها الكون الى قسمين : مشعة كالراديوم وغير مشعة كالحديد والرصاص . وقد لاحظ أنه لما كان عنصر الهيدروجين أبسط العناصر تركيباً ، إذ هو مركب من بروتون واحد والكترون واحد ، وأخفها وزناً ، فانه يمكن افتراض أن جميع العناصر الأخرى متركبة منه كتركيب جميع الأعداد الصحيحة من الواحد الصحيح ، فذرّة الهيليوم تساوي في وزنها أربع ذرات من الهيدروجين ، وذرة

الصوديوم تساوى ٢٣ ذرة من الهيدروجين أيضا . وكذلك افترض ملكان أن الهيدروجين يدخل فى تركيب جميع العناصر ، وأنه الحجر الأساسى فى بناء الكون . وقد افترض ملّكان أيضاً طبقاً لمعادلة اينشتاين (القائلة بأن انصهار جزء من المادة فى داخل النجوم يولّد جزءاً مقابلاً من الحرارة والقوة تشع فى كل أنحاء الفضاء) . إن هذه الحرارة والقوة المنبعثة باستمرار من النجوم ، ستصير يوماً ما وفى مكان ما مادة تحت الظروف الملائمة لبنائها ، وأنه ما من مادة تنعدم فى النجوم إلا ويقابلها بناء ثان فى غير النجوم .

بقسمة العناصر الى مُشعة وغير مشعة نرى أن المواد المشعة أقل من المواد غير المشعة ، وهذا شىء طبيعى ، لأن هذه المواد باشعاعها الدائم تتحول الى مواد أخرى ، وبذلك تقل نسبة وجودها فى الكون تدريجياً . فأخذ ملكان بعد ذلك ثلاثة عناصر تؤلف الجزء الأكبر فى تركيب الكرة الأرضية والشهب والنجوم . ووجد أن هذه العناصر الثلاثة فى الهيليوم والأكسجين والسليكون . وقال اذا كانت هذه الأشعة التى لاحظناها ناتجة عن بناء العناصر فان الهيدروجين وهو أبسطها تركيباً الحجر الأساسى فى هذا البناء . وبواسطة معادلة اينشتاين استخرج مقدار القوة الضائعة فى بناء كل ذرة لكل من العناصر الثلاثة وبواسطة معادلة أخرى اشترك فى إيجادها ثلاثة شباب : (ديراك Dirac) شاب انجليزى ، و(كلاين Klein) شاب ألمانى ، و(نشينا Nishina) شاب يابانى ، استخرج نسبة قوى هذه العناصر الضائعة الى بعضها ، فوجدها كما يأتى : ٠٦٣ : ٠٦٠٨ : ٠٦٠٤ وهذه كما نرى ذات الأرقام التى استنتجها من تجاربه ، إلا فى الرقم الأول فلاختلاف فيه تعلله قلة الضبط فى التجارب فقط .

وهكذا كان نجاح ملكان فى تعليل نظريته فى بناء الكون من طريقين : طريق التجربة التى أدت الى اكتشاف تلك الأشعة الصادرة عن بناء الكون ، ولذلك سميت بالأشعة الكونية ؛ وطريق الرياضيات التى طابقت نتائج تجاربه كل المطابقة ، فدلت لا على اكتشاف أشعة جديدة من مصدر جديد فحسب بل أيضاً على توحيد النظريات والمعادلات الرياضية مع الظواهر الطبيعية ، وعلى دقتها وتلاؤمها بعضها مع بعض .

جامعة بيروت فرج رفيدى

٣ ـ اسحاق نيوتن

١٦٤٢ — ١٧٢٧

للأستاذ مصطفى محمود حافظ

كتاب « البرنسبيا » : (١)

وفى ابريل سنة ١٦٧٦ تقدم نيوتن إلى الجمعية الملكية بكتابه المشهور « البرنسبيا » وهو فى ثلاثة أجزاء . وقد شرح فى الجزء الأول منه نظريته الخاصة بتحرك الأجسام مع البرهان الكامل لقانون الجذب العام . وقد أمرت الجمعية الملكية ان يطبع هذا الكتاب على نفقتها الخاصة ، ولكن ذلك لم يتم لأنها لم تشأ أو لم تقدر على جميع النفقات اللازمة لذلك . ولكن « هالى » صديق نيوتن قام بذلك على نفقته الخاصة . فخرج الكتاب باللاتينية فى مايو سنة ١٦٨٧

ولم تكد تظهر أصول الجزء الأول من « البرنسبيا » حتى قام دكتور « هوك » ينسب إلى نفسه الأسبقية فى الكشف عن قانون التربيع العكسى متهماً نيوتن بأخذ هذا الاكتشاف عنه . وبذلك اتسعت شقة الخلاف بين العالمين ، ولكن دكتور « هالى » تمكن بتأثيره على نيوتن من أن يجعله يشير فى كتابه إلى أنه مع « رن » و « هوك » و « هالى » توصلوا فى نفس الوقت إلى قانون الجاذبية من قوانين « كبلر » فى حركة الكواكب

وقد اشتمل الجزء الثانى من البرنسبيا على مبادىء علم الأيدروستاتيكا ، والأيدروديناميكا ، كما اشتمل على تطبيق قانون الجذب العام فى شرح ظواهر المد ونسبتها إلى مكان القمر من البحار ، وقد أضاف اليها هو مواضع الشمس أيضاً . وقد احتوى البرنسبيا أيضاً على موضوع المذنبات ، فاعتبرها أجساماً سماوية تسير فى قطع ناقص هائل ، ولا تظهر لنا إلا وهى تقطع جزءاً صغيراً من هذا القطع الناقص بالقرب من الشمس ، وعلل بذلك ظهورها بعد أزمنة معينة : وبذا يكون قانون الجاذبية قد امتد خارج المجموعة الشمسية فشمل هذه المذنبات أيضاً

(١) Philosophioe Naturalis Paincipia Mathematica الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية

لقد احتوى هذا الكتاب نواة الفلسفة الطبيعية ، ولكنه لم يؤخذ به كأساس لذلك إلا بعد سنوات ، وذلك لحملات النقد الكثيرة التي كانت توجه إليه من أمثال « هوك » و « هيجنز » و « ديكارت » وان كان البعض قد آمن به بعد حين . وبرغم اتصال نيوتن بجامعة كامبردج طول حياته فانها لم تكن الجامعة الأولى التي أخذت بما في كتابه من فلسفة ؛ وسبقتها في ذلك جامعات اسكتلندا

حياته العامة :

أخذ نيوتن راحة طويلة بعد ذلك المجهود الذي مكنه من اتمام البرنسبيا في سنتين فقط . وفي سنة ١٦٨٨ اختير عضواً برلمانياً بعد دفاع مجيد قام به مع غيره لصيانة حرمة جامعته عند ما أمر الملك « جيمس الثاني » جامعة كامبردج أن تمنح قساً جاهلاً درجة « الأستاذية » ، مما كان له أثر في رجوع الملك عن أمره . وقد انصرف إلى أعماله البرلمانية سنتين ، ولو أنه لم يسجل له اى مساهمة في مناقشة سياسية . وفي ذلك الوقت اصابته أكبر محنة لاقته في حياته ، تلك هي وفاة أمه التي ضحت من أجله بالكثير من القليل وساعدته للوصول إلى ماوصل اليه . فبرغم قلة دخلها السنوي الذي لم يتجاوز الثمانين من الجنيهات ، كانت تقتر على نفسها لتنفق عليه في « جرانتام » وفي سنواته الأولى في كامبردج

وفي سنة ١٦٩٠ عاد الى كامبردج ليزاول التدريس مرة أخرى ، كما اشتغل بدراسة تأثير الضوء على شبكية العين بتجارب أجراها في نفسه . وقد أجرى تجارب لتقدير درجات انصهار بعض المعادن وملاحظة معدل برودتها ، وقال إن هذا المعدل يتناسب وزيادة درجة حرارة الجسم على درجة حرارة الوسط الذي يحيط به . ولكن بحوث « دولنج دبتي » أثبتت بعد ذلك أن هذا ليس بصحيح إلا اذا كان الفرق بين درجتي الحرارة صغيرا .

وقد شاء نيوتن أن يُخرج للعالم كل ما وصل اليه في علم البصريات ، وهو العلم الذي كان يشغل دائماً جزءاً من وقته ، ولكن كارثة لا يُعلم الى الآن سببها الحقيقي سببت حرق أغلب مذكراته . فقد ترك غرفته ليلاً وبها شمعة موقدة وتأخر الى أجل قليل ، فعاد ليجد الشمعة قد انكفأت فأحرقت جل مذكراته . ويقال إن كلباً صغيراً يدعى « دياموند » كان السبب في ذلك ، ولكن لسوء الحظ لم يعرف عن نيوتن الميل الى إبقاء مثل هذه الحيوانات برغم حبه العظيم لها . وبذا لم يتمكن نيوتن من إعادة مذكراته وإتمامها إلا بعد اثنى عشر عاما .

في دار سك النقود

لم تكن المائتي جنيه التي كان يتقاضاها نيوتن سنويا عن وظيفة الأستاذية في الجامعة لتكفي للقيام بحاجاته ؛ فسعى صديق له يدعى « شارل مونتاج » حتى عين في سنة ١٦٩٥ وكيلاً لدار سك النقود بمرتب سنوي يتراوح بين ٥٠٠و٦٠٠ جنيه . فوجه كل عنايته الى عمله بعيداً عن المناقشات العلمية ، ولكنه مع ذلك كان يشتغل بحل المشكلات التي تقابل غيره . ففي سنة ١٧٩٧ أعلن الرياضي الكبير « جون برنولى » عن معضلات رياضية يطلب الى العلماء حلها ، ففعل ذلك نيوتن في يوم واحد . وفي سنة ١٦٩٩ أصبح رئيساً لدار السك بمرتب سنوي قدره ١٢٠٠ من الجنيهات ، فترك مهنة التدريس التي كان يزاولها مع وكالته للدار .

وقد وجه نيوتن عنايته الى إصلاح العملة الانجليزية مما دخلها من الغش ، فوفق الى ذلك بعد صعوبات لاقاها هو وصديقه «هالى» الذي عينه مديراً لأحد الفروع ، ممن كانوا يستفيدون من ذلك الغش . فاتهموه بالرشوة عندما وجدوه يرفضها .

وفي سنة ١٧٠٠ اكتشف نيوتن آلة السدس (السكستانت) وهي الآلة التي يتمكن بها الملاحون من معرفة أماكنهم في عرض البحار ، ولكن هذا الاكتشاف ينسب عادة الى «هادلى» .

وفي سنة ١٧٠٣ نال نيوتن أعظم شرف مُنحه في حياته ، وهو رياسة الجمعية الملكية ؛ وقد لبث في هذه الرياسة حتى موته ، ولا تزال صورته معلقة فوق كرسي الرياسة . وبعد سنة من ذلك التعيين توفى منافسه الدكتور «هوك» وأتم كتابه «البصريات» . وقد احتوى هذا الكتاب كل ماوصل اليه في علم الضوء ، كما احتوى أيضاً على رسالة في حساب التكامل ، قال إن أساسها هو ما وصل اليه في سنة ١٦٦٥ عند ما كان في « وولثورب » ، فقام يعارضه في ذلك العالم الرياضي « ليبنتز » ، الذي أصبح بعد وفاة « هوك » شر خلف لأعند سلف . هاجم نيوتن مهاجمة عنيفة ، فاتهمه بسرقة أساس علم التكامل منه ، فقام دكتور « كيل » من اكسفورد وأعلن أن « ليبنتز » هو سارق حساب التكامل

من نيوتن . والواقع أن كليهما وصل مستقلاً الى علم حساب التكامل ، إلا أن نيوتن له الأسبقية فى ذلك وإن لم ينشرما وصل اليه فى حينه ، كما أقرت بذلك اللجنة التى عينتها الجمعية الملكية للتحقق من مبلغ صحة أقوال المتنافسين . عند ذلك اختار « ليبنتز » ناحية أخرى يهاجم منها نيوتن ، فادعى أن فلسفته إلحادية ، واستمر زمناً طويلاً كان هو البادئ بالعدوان دائماً . وقد تحدى نيوتن مرة أن يحل مسألة رياضية فحلها نيوتن فى ليلة واحدة بعد عمله اليومى فى دار السك .

نيوتن الرجل

كان طويل القامة ، كث الشعر أبيضه ، وقد لحقه الشيب ولما يزل فى سن الشباب ؛ كان كثير التفكير ، يندر أن يشترك فى مناقشة كلامية .

ذاق نيوتن طعم الفقر والحرمان فى أيامه الأولى ، وحتى بعد انتخابه عضواً فى الجمعية الملكية قصرت موارده عن أن يدفع رسم دخول واشتراك الجمعية ، فأعفى منهما مع ضآلتها . ومع ذلك كان كريماً يساعد أقاربه وأصدقاءه .

كان وديعاً خجولاً متواضعا ، وكان دائماً يردد قوله : « لا أعلم ماذا يعتقده الناس فى ، ولكنى أعلم أننى كطفل صغير ألعب على الشاطئ فأجد من حين لآخر حصاة قد صقلتها الأمواج ، أو صدفة تدعونى اليها بحسنها ، بينما محيط الحق أمامى لم أكشف منه شيئا » .

لم يكن يميل الى الظهور واسترعاء الأنظار اليه ، كما كان لا يميل الى المناقشات والمشاجرات ، ومع ذلك لازمته ولاحقته بعد كل جديد كان يصل اليه . كان ضعيف الذاكرة ، لا يعتنى كثيراً بملابسه ، غريباً فى أذواقه . ولكنه كان يُفنى نفسه فى عمله ، وكثيراً ما أثر ذلك فى صحته

كان نيوتن يعتقد بوجود الله ، رغم ما اتهمه به « ليبنتز » من الكفر والالحاد . كان يعتقد بوجود قانون كونى عام يحكم كل أجزاء الكون ، وهذا القانون هو إرادة الله . وقد رأى فى ثبوت قانون الجذب العام سيطرة الخالق على الكون بأجمعه

وقد أنعمت عليه الملكة « آن » بلقب الفروسية (سير) فى زيارتها لجامعة كامبردج فى سنة ١٧٠٥ . وكان يعيش فى أواخر أيامه فى لندن وقد أصبحت له مركبة خاصة

لم يتزوج نيوتن برغم انه كان يحب « مس ستورى » التى تزوجت مرتين ، وكانت تعتنى به « حنا » أخته من أمه . وقد أخذت صحته فى الاضمحلال فى سنة ١٧٢٤ ، وأخذ يشكو مرض الشيخوخة ، ولكنه ظل يرأس الجمعية الملكية حتى مات فى سن الخامسة والثمانين فى مارس سنة ١٧٢٧ . ودفن فى وستمنستر ، وقدرت ثروته بمبلغ ٣٢ ألفاً من الجنيهات ، أوصى بها إلى أولاد إخوته .

« تم البحث »

مصطفى محمود حافظ
مدرس بمدرسة المعلمين بامبابة

النقد

الملاح التائه

للشاعر المهندس علي محمود طه

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

بعد كتابي الذي أرسلته إلى صديق الزيات منذ أيام ، قد أدرك القارىء أنني راض كل الرضى عن هذا العنوان الذي اتخذه الشاعر المهندس سمة لكتابه الجديد . وكيف لا نرضى عن هذا العنوان ، وكثير منا من استقل زورق العمر ، يطفو به فوق بحر الحياة ، تتدافعنا رياح الحوادث ، وتتجاذبنا أعاصير القضاء ، وتحدق بنا الصخور والأمواج من كل جانب . فاذا أبصرنا على بعد جزيرة أمل ماثلة لأعيننا ، لم نلبث أن نضل السبيل في البحث عنها ، فلا نزال حائرين ، ولا ننفك تائهين ! .

كان ظهور (الملاح التائه) لعلي محمود طه و (وراء الغمام) لابراهيم ناجي في شهر واحد وفي سنة واحدة من أحسن النعم الأدبية على قراء العربية . وقد ظهر كلاهما في شهر أيار ، حين تخرج الورود والرياحين ، فتملأ الأرجاء عبيراً وبهجة وجمالاً . ولست أشك في أن هواء الأدب قد امتلأ أيضاً بأريج هذه الزهرات الأدبية اليانعة .

إن شعر علي محمود طه ليس مجهولاً للقراء ؟ فقد ظهر منه في (الرسالة) وفي (المقتطف) وفي (أبولو) شيء كثير . ولكن هنالك فرق بين أن نطالع شعر الشاعر موزعا متفرقا ، وبين أن نتناوله مجموعاً في سفر واحد . فانا نجده في الصحف ملقى بين مختلف المواضيع والمنشآت التي تشبه في تنوعها وكثرتها « سلطة » الفواكه ، قد اختلط منها التفاح بالموز ، والعنب بالبرتقال ، والشليك بالكمثرى ، بل لقد تجد أيضاً قطعا كبيرة من اللفت أو الفجل ، لا تدري كيف اتخذت سبيلها الى تلك البيئة الغريبة عنها .

لهذا كان ظهور تلك الأشعار مجموعة في كتاب مستقل حادثاً يسترعي الأنتباه ، ويستوقف النظر الذي كان يمر بتلك القصائد من قبل مراً سريعاً . ولدينا وياللأسف شعراء كبار مثل حفني ناصف واسماعيل صبري لم يعنوا — ولم يعن أحد بعدهم — بجمع أشعارهم في كتاب. فليس في قلبنا منهم سوى صورة مبهمة ناقصة

فاخراج أشعار علي محمود طه في كتاب هو الحادث الذي يتيح للمرء أن يجلس لكي يتذوقها ، ويتناولها بالنقد وبالدراسة .

***

تمجيد الشاعر

أول ما يلفت النظر في علي محمود طه أنه شاعر يعرف للشاعر منزلته العالية ، ومكانه السماوي الهائل وسط هذه المخلوقات الأرضية البائدة ، ولهذا نراه يخص الشاعر بقسم كبير جداً من قصائده الممتازة ؛ فنراه يخبرنا في أولى قصائده أن (ميلاد الشاعر) حادث جليل ترقص له الأرض ، وتبتهج السماء ، وتبرق أسارير الدهر ، ويزداد له البدر إشراقاً ونوراً . فتتنادى الملائكة ، وتتجاوب الأصداء : ليستبشر العالم فقد ولد فوق الأرض شاعر !

وفي قصيدة أخرى يرينا الشاعر وهو يناجي ربه ، في شيء من غرور الشعراء . وإذا كنا نرى في هذه القصيدة ما يجعلنا أحياناً نصيح : « تأدب يا موسى ؟ » فيجب على الأقل أن نذكر أن الشاعر أقرب الكائنات إلى الله ، فيجوز له مالا يجوز لسواه .

وفي قصيدة ثالثة : تعد آية في الشعر العربي يصف لنا الشاعر في غرفته ، وصفاً بديعاً لا عهد لنا بمثله ، ولئن كان في هذه القصيدة ينحو نحو الفرد دي موسه أو غيره كما يقول الأستاذ طه حسين ، فان هذا لا ينقص من جمال القصيدة ذرة واحدة ، بل انه ليدهشنا أن تكون المعاني الغربية قد انسجمت هذا الانسجام الجميل في ثوبها العربي القشيب . ولها من وزنها العربي مايسمو بها فوق الأوزان الأفرنجية الركيكة .

وفي قصيدة رابعة يحدثنا عن (قبر الشاعر) . وقد أثارها في نفسه حديث عن الشاعر الفاضل المرحوم فوزي المعلوف ، الذي قضى نحبه وهو بعد في ريعان الشباب ومُزْدَهِرِ الشعر ،

وسيحس القارئ فى هذا التمجيد للشاعر شيئاً من تقدير المؤلف لنفسه ، وإن لم يقل كلمة واحدة عن نفسه ، وهذا خير مثال نضربه للذين لم يفهموا بعد أن هنالك مدرسة جديدة ومذهباً جديداً فى الشعر العربى . فالقدماء من الشعراء كانوا هم أيضاً يقدرون للشاعر قـدره . ولـكن هذا الشعور كان مظهره فخر الشاعر بنفسه وبأدبه :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
هذا عتابك الا أنه مقـــة قد ضُمّنَ الدر إلا أنه كلم
وانى وان كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

وفى الشعر العربى من هذا الشىء الكثير جداً ، ذلك كان دأب القدماء ومن نحوا نحوهم من المحدثين ، وقد تلطف شوقى وسلك طريقاً جديداً حين جعل غادته تقول : « أنتم الناس أيها الشعراء ! » ولـكن على محمود طه لم يقل عن نفسه شيئاً ولم يفتخر بل جعل يصف لنا الشاعر فى مولده وحياته وفى أحلامه وأوهامه وفى تفكيره وحيرته ، وفى أثناء ذلك تتبين ما للشاعر من قدر جليل ومكانة سامية .

ورجائى إلى الذين لم يصدقوا بعد أن هنالك تجديداً فى الأدب العربى أن يفكروا فى هذا المثـل وحده الذى ضربته ! فلعل فيه ما يقنعهم بأن هنالك نواحى جديدة قد أخذ شعراؤنا يسيرون فيها وأنها من غير شك أكثر ملاءمة لروح عصرنا ، فنحن اليوم لانعبأ بشـاعر يقول لنا إنه اذا قال شعراً أصبح الدهر منشداً . فلقد كان للفخر والتفاخر زمان غير هذا الزمان . ولـكننا نرحب ونستأنس بهـذه الصور التى تمثل الشاعر فى أطواره المختلفة كما يحكيها لنا على محمود طه .

***

تمجيد الطبيعة

الظاهرة الثانية التى تـكاد تبرز أمامنا واضحة قوية فى كل صفحة من صفحات (الملاح التائه) هى تمجيد الطبيعة ، وهذه الظاهرة بادية فيما ظهر من أدبنا الحديث كله ، ولـكنها شـديدة الظهور فى شعر على محمود طه ، وليس ذكره للطبيعة ذكراً سطحياً بل فيه تدبر وتعمق وإمعان فـكر . وهى أحياناً تسيطر على القصيدة كلها كما هى الحال فى (الشاطىء المهجور) و (صخرة الملتقى) و (القطب) و (عاشق الزهر) و (الى البحر) . ولـكنها إلى جانب هذا منتشرة فى الـكتاب كله ، ولن نعدم اشارة اليها فى كل موضع .

وهذا يرينا كيف يسير شعراؤنا ، بفطرتهم — ومن غير تعمد على ما أظن — فى نفس الدور الذى سارت فيه حركة الرومانتزم فى الشعر الغربى ، فقد كان من أهم مظاهرها الرجوع إلى الطبيعة

والقارىء يعلم أن للوصف — سواء كان لظاهرة طبيعية أو لغيرها — طريقتين الأولى موضوعية Objective . فيحاول الكاتب بالألفاظ والعبارات أن يعطينا صورة واضحة لما يراه أمامه

كقول القائل :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

وكقول على محمود طه نفسه :

نزلت فيه تستحم النجوم الزهر فى جلوة السماء المنير
راقصات به على هزج المو ج عرايا مهدلات الشعور
وعلى صـدره الخفوق طوينا الـليل فى زورق رضى المسير
ورياح الخليـج دائـــة تثـنى حواشى شراعـه المنشور

والطريقة الثانية فى الوصف ذاتية Subjective يرينا فيها الشاعر تأثير الموصوف فى نفسه ، ويتخذ من مظاهر الطبيعة وسيلة لأخراج ما يكنه صـــدره من عاطفة أو حب أو ذكرى .

كقول مهيار :

يانسيم الريح من كاظمة شد ما هجت الجوى والبرحا
الصبا — ان كان لابد — الصبا انها كانت لقـــلبى أروحا

وكقول على محمود طه فى قصيدة (عاشق الزهر) :

ياليت لى كالفراش أجنحـة أهفو بها فى الفضـاء هيماناً
أروح للنور فى مشـــارقه وأغتدى من سـناه نشواناً
وأرشف القطر من بواكره فـــلا أرود الضفاف ظمآناً

والأمثلة على هذا ونحوه كثيرة جداً لاحاجة الى الزيادة منها . وقد كانت عناية القدماء بالنوع الأول أقل من عنايتهم بالثانى . وأما هاهنا فسيجد القارىء من النوعين قدراً وافياً . . ومن رأيى أن قصيدة الوصف يجب أن تشتمل على النوعين فيبدأ الشاعر بتصوير الظاهرة التى أمامه حتى يكاد القارىء أن يلمسها ، ثم ينتقل الى تأثيرها فى نفسه والى ما توحى به من حكمة أو عاطفة ، وهذا سر القوة الهائلة التى نجـدها فى قصيدة مثل سينية البحترى فى إيوان كسرى

***

الغموض

والآن فلأعد الى على محمود طه . وهنا أريد أن أسر الى القارئ

أن مطالعة هذا الشاعر هي أحياناً عبارة عن لذة سهلة سائغة كما يجدها القارئ في قصيدة (عاشق الزهر) أو (قبلة) أو (غرفة الشاعر) . أو رثاء عدلى يكن . ولكنه أحياناً ، وفى بعض القصائد الخطيرة ، سيجدها لذة لا تدرك بسهولة . بل لا بد لها من التأنى والتدبر . أما الموسيقى فهى هناك لاشك فيها . لكن المعانى فيها بعض الخفاء .

وقد يرجع هذا الخفاء لازدحام المعانى المتعددة فى البيت الواحد . أنظر مثلاً الى قوله فى مطلع (الوحى الخالد)

لوجهك هذا الكون يا حسن كله وجوه يفيض البشر من قسماتها

فمثل هذا البيت لابد أن يقرأ فى هدوء وتؤدة وأن يعاد غير غير مرة حتى نستوعبه فهما .

لكن هذا النوع من الخفاء لا يعترض عليه ؛ بل قد يكون جميلاً مستحسنا . أما النوع الآخر فهو الذى دار فيه الجدال فى (الرسالة) من قبل . وذلك أن هنالك شعراء لا يعنون فقط بالصور الواضحة الملموسة البارزة ، بل يعنون كذلك بالصور التى يحيط بها غشاء من الأبهام ، كالتى يراها الحالم بين النوم واليقظة أو كالظل لا هو نور ساطع ولا ظلام حالك . وهذا ما يعبر عنه فى الفرنسية بكلمة nuance . ذلك مذهب الرمز بين أمثال فرلين وأتباعه ويمثلهم فى الشعر الانكليزى الى حدٍّ ما الشاعر سوِنبِرْن .

فالقارىء لأمثال هؤلاء الشعراء يجد فى شعرهم موسيقى بديعة وأنغاماً رخيمة . أما المعانى البارزة الملموسة فاننا قد نطلبها دائماً ، ولكنا لن نجدها دائماً . ويجب أن نكتفى منهم بصورة لا نعيها تماماً . بل نفهمها نصف أو ربع فهم . وذلك بالطبع لأنهم هم أنفسهم لم يفهموها الفهم كله ، وانما تأثروا بها غامضة مبهمة خافية ، وأرادوا أن ينقلوا الينا هذا الأثر كما هو .

وفى شعر على محمود طه شىء يسير من هذا . نجده فى مواضع متفرقة ، فى مثل قصيدة (عاصفة فى جمجمة) ، أو فى (الله والشاعر) وفى غيرها . وكثير منا يعز عليه أن يمر بالبيت فلا يحيط بمعناه تماماً ، أو بالصورة فلا يتبين شكلها تماماً . وهذا الطراز من الناس لا يميل الى هذا الضرب من الشعر وينكره . وقد يكون له بعض الحق فى هذا الانكار ، ولكن يجب أن نذكر أن الشاعر الذى يخلص لشعره ولشاعريته مضطر لأن ينقل الينا ما يراه أو يتوهمه من الصور واضحة كانت أو خافية .

والذى قد نؤاخذ الشاعر عليه حقيقة شىء واحد ، ومن السهل جداً عليه معالجته إذا وافقنا على رأينا فيه ، وذلك أن للشاعر خيالاً قوياً مفرطاً فى القوة ، وكثيراً ما يركب هذا الخيال بلا سرج ولا لجام فيذهب به فى فياف بعيدة وأقطار قاصية لا نستطيع غالباً — أن نصحبه اليها . هذا الخيال القوى الذى كثيراً ما يطربنا ويعجبنا نراه أحيانا يتعبنا وينصبنا

يعجبنا حين يرينا أمثال هذه الصورة :

أيها الشاعر الكئيب مضى الليل وما زلت غارقا فى شجونك
مسلما رأسك الحزين إلى الفكر وللسهد ذابلات جفونك
ويد تمسك اليراع وأخرى فى ارتعاش تمر فوق جبينك
وفم ناضب به حر أنفا سك يطغى على ضعيف أنينك

أو هذه الصورة :

وأطلت الأزهار من ورقاتها حيرى تعجب للربيع الباكر !
وجرى شعاع البدر حولك راقصاً طربا على المرج النضير الزاهر

فهذا وأمثاله كثير فى (الملاح التائه) — هو من المعجب الطريف . وقد ساعده خياله القوى على إخراج هذه الصور الرائعة انظر الى البيت الثالث فى القطعة الأولى . ما أروعه وما أبدعه ، وهو مع ذلك لا يحكى سوى حقيقة واضحة ملموسة . حقاً إن أبدع الخيال ما كان وسيلة إلى تصوير الحقيقة .

والى جانب هذا سيجد القارىء أن شاعرنا قد يذهب به الخيال مذاهب بعيدة : انظر مثلاً الى قوله فى (أغنية ريفية)

الى أن يمل الدجى وحشتى وتشكو الكآبة منى الضجر .

بيت موسيقاه جميلة مطربة . ولكنا لا ندرى كيف تشكو الكآبة منه الضجر . وكذلك نرى خيال الشاعر قد بعد عنا إلى حيث لا نلحقه فى قصيدة (عاصفة فى جمجمة) ، ولا نستطيع أن نأتى بها هنا كلها ، ونكتفى بمثال أو اثنين كقوله :

أحياة متنها صخر ونار حفت الأشواك من يسلكه
تنقضى الآجال فيه والسفار أبدى ، ويح من تهلكه !

***

احملوا أمس إلى حفرته وتخطوا هوة الوادى السحيق
واحفزوا النجم الى ثورته واحطموا أنوال ليل لا يفيق ،

وبالطبع عذر الشاعر فى هذا كله أنها (عاصفة فى جمجمة) ويجب أن تثور مثل هذه العاصفة فى جمجمة القارىء لكى يستمتع بهذه القصيدة .

كذلك قد يجد القارىء أن الخيال قد ذهب بعيداً فى قصيدة

(النشيد) حيث يجرد الشاعر من حبه شخصاً يصاحبه الى لقاء الحبيب . وفى بعض المواضع نجد من الصعب علينا أن نتصور الموقف تماماً .

هذا ما يبدو للناقد فى خيال الشاعر ، أنه قد يفرط فى القوة فيذهب مذاهب بعيدة . فاذا وافق الشاعر على هذا الرأى ، فمن أبسط الأمور عليه أن يخفف من حدة هذ الخيال .

* * *

الأسلوب

الأسلوب هو طريقة الأداء ، وهو من المعانى كالجسد من الروح . وإذا نظرنا فى أسلوب على محمود طه نجد عبارته منسجمة طلية وألفاظه فى الغالب متخيرة ، ودليله فى الاختيار حسن وقعها فى الأذن ، وهذا نجده فى معظم الكتاب ، حتى فى المواضع التى يخفى أو يغمض المعنى لانعدم الموسيقى على كل حال .

وفى اختيار الشاعر لأوزانه نراه يكثر من الخفيف والرمل . ونصف قصائد الكتاب من هذين البحرين ، وهو أحيانا يكتب القصائد الطويلة على الطراز المألوف من قافية واحدة ؛ وأكثر الكتاب من هذا الطراز ولكنه — لحسن الحظ — قد أتى بقصائد ذات قواف متعددة ، وهذه على ثلاثة أنواع ؛

(١) فى الأول منها تتغير القافية عدة مرار بلا قيد ولا شرط كما فى قصيدة ميلاد الشاعر

(٢) وفى الضرب الثانى تتغير القافية فى كل أربع أبيات كما فى (غرفة الشاعر) و (قبلة) و (قبر شاعر) و ترجمة (البحيرة) وقد نظم شعراء آخرون قصائد على هذا النظام الرباعى . ولهذا يخيل لى أنه طراز طبيعى مستحسن . والمنتظر لهذا النوع أن ينتشر ، ومن المستحسن جداً أن ينتشر .

(٣) أما النوع الثالث ومنه قصيدة (الله والشاعر) . فان فيه كل بيتين على حدة ؛ والمصراع الأول يتفق فى القافية مع الثالث والثانى مع الرابع . وهذا الطراز منتشر أيضاً فى الشعر الحديث .

وهذا النظام الجديد للقافية من الظاهرات التى نرحب بها فى شعر شعرائنا المحدثين . فقد انقضى الزمن الذى يفتخر فيه الشعراء بطول النفس ؛ وبأن الواحد منهم ينظم القصيدة فى مائة أو مائتين بل مئات من الأبيات ، لا يكرر فيها القافية . كان هذا الفخر سخفاً لا طائل تحته . فليس نظم القصائد الطوال فى قافية واحدة بالشىء العسير على من أراد أن يقيد المعنى بالقافية . وأن يجعل الجسم كله متوقفاً على شكل الذنب ! وأكبر شعراء العربية لم يكونوا من المطيلين مثل أبى نواس . والمتنبى . ولم يخرج عن هذه القاعدة سوى ابن الرومى . الذى كان يكرر معانيه ويفصلها ويستقصيها فتطول قصائده تبعاً لذلك .

وليس من شك فى أن تنويع القافية سيشق أمام شعرائنا طرقاً كانت مغلقة أمام المتقدمين ، ويفتح لهم أبواباً جديدة .

وقد لاحظ الأستاذ طه حسين على شاعرنا أن قوافيه أحياناً غير متفقة فى مثل (نورها وقبرها) وفى مثل (فاتها ويواقيتها) و (وجهها وتيهها) فى قصيدة (الله والشاعر) وهذه الأمثلة حقيقة نادرة فى الكتاب . ولكن يجمل بشاعرنا الذى ينشد الكمال أن يلاحظها :

ولقد يؤخذ على شعرائنا المحدثين أنهم قلما يهتمون بدراسة موضوع العروض والقوافى فى اللغة العربية . اتكالاً على أن هذا من الأشياء التى تجىء للشاعر الموهوب عفواً . هذا مع أن الكثير منهم — وليس صاحب (الملاح التائه) أحدهم — ربما خلط بين الوافر والهزج ، وبين السريع والكامل ، وبين الكامل والرجز . ولو أنهم أتعبوا أنفسهم قليلاً فى دراسة كتاب مختصر عن الوزن والقافية لكفوا أنفسهم شر هذه الزلات .

إن العرب قد اصطلحت على أن القوا فى الآتية — مثلا — : ليلى — ذيْلا — قوْلا — هوْلا . لا يجوز أن تجتمع فى قصيدة واحدة مع هذه القوافى — مثلا — : قبْلا — عدْلا — جهْلا — مهْلا . فالمجموعة الأولى فيها حرفا علة — الواو والياء — لهما موسيقى خاصة لا تتفق مع الحروف الساكنة الأخرى . فلو عرف شعراؤنا هذا الاصطلاح العربى القديم لأمكنهم أن يتذوقوا القافية التذوق اللازم . وليس من حسن السياسة فى شىء أن نجهل أو نتجاهل ما اهتدى اليه الشعراء من قبل باحساسهم وذوقهم . ومهما كانت غرائز شعرائنا قوية وصادقة . فان مجموع غرائز شعراء العربية فى مختلف العصور والبلاد أقوى وأصدق . لهذا كان لابد لشعرائنا من دراسة العروض والقوافى دراسة وافية لكى يطلعوا على زبدة تجارب المتقدمين .

القصص

من صور الريف

كفـــارة . . . ! !

. . . نهار من أيام الخريف ، بدأ ثقيلاً طويلاً قاتماً ، ومضى عاصفاً صاخبا ، وأقبل الليل فسال الظلام على جوانب الكون كثيفاً مطبقا ، الريح تعصف عنيفة باردة والسماء يغشاها سحاب أسحم ومطر سخى ، أوراق الشجر تساقط مستسلمة ، وسعف النخيل يتحدى العاصفة ، والعاصفة تداعبه وتعبث به ، فتشيع فى أطراف الليل حفيفاً موحشاً يشبه أن يكون أنين أرواح هائمة فى أودية العذاب ، أصوات الذئاب يتجاوب بها الصدى ، والكلاب ترد عليها بنباح قوى مختلط يتصل حيناً طويلا ، ثم ينقطع لحظات ، ثم يعود فيتصل ويختلط ، على أن هذه الأصوات المختلطة المبهمة كانت تنجلى أحياناً عن نداء أو غناء يردده أحد الفلاحين فى حقل بعيد

سكون موحش يثير القلق ، ويحمل على الشك ، ويدفع الرهبة الى النفوس دفعاً . . . وقف بيومى قليلاً ثم تردد فى استئناف السرى . . . لقد جسم له الوهم والخوف من الظلام أعمدة جاثمة تعترض الطريق كأنها المردة السود ، وكان بيومى يقف أحياناً يتطاول بعنقه ويرهف سمعه ويضرب بعينيه فى صميم الظلام كأنما يبحث عن قبس أو هدى : إنه يحمل فى جيبه مالاً كثيراً وهو يوجس خيفة ، وهو فوق هذا وذاك يحس شيئاً من الجوع والتعب وبينه وبين بلده ساعة وبعض ساعة فلماذا لا يبيت فى بلدة «قلوصنا» وهى على بضع دقائق فقط ريثما يسفر الصبح ؟ إن له صديقاً قديماً هو شيخ الخفراء وأكبر الظن أنه سيطعمه من جوع ويؤمنه من خوف ويهيىء له من أمره راحة وأمنا . . . ومن أحق بهذا من شيخ الخفراء ؟ ! ولكن بيومى لا يستريح الى هذا الحل ويتردد طويلاً قبل أن يبيت فيه لأنه يعلم عن شيخ الخفراء ما ليس لنا به علم ، إنه يخشى أن يجيئه الهلاك من مأمنــه ، فلشيخ الخفراء صحائف فى ثبت الاجرام ، وأكبر اليقين أنه لا يتورع من أن يضيف اليها فصولاً جديدة . ولكن أتراه يعتدى على ضيف ينزل بداره ويلجأ اليه ؟ ربما ! وهو فوق ذلك صديقه ! ولنترك بيومى يضطرب بين الشك واليقين ويتصارع فى نفسه الأحجام والأقدام فلعل الله أن يجعل له فرجاً من الضيق ، ومخرجاً من الحيرة ، ومن الخوف أمناً وهدى . . .

أما عبد الهادى شيخ الخفراء فهو رجل مديد القامة ، شديد البأس ، قوى مفتول ، له وجه تشيع فى قسماته الصرامة ، وعينان ينبعث منهما التحدى والشر ، كان فيما فرط من أيامه يقطع الطرق ويهدد السارين ويسلب الناس ، ولم يكن يجد فى القتل حرجاً ولا فى السلب جناحاً ، بل إنه ليعدها من مفاخره . وعبد الهادى يثبت نظرية لمبروزو فى المجرمين بالطبيعة crtminel né فقد كان من القرويين الذين تغلب فيهم سيطرة الاجرام ، ويتحكم فى رجولتهم شر أسود فى لون هذا الليل العاصف المدلهم ، لم يكن يردعه قانون ولا دين ، ولا يمنعه عقل ولا عاطفة ، عيّن شيخاً للخفراء فزاد عبثه وما زال يصل أسبابه بأصدقائه القدماء من اللصوص والقتلة ، يغريهم بالناس ويدلهم على مواطن الصيد ويمهد لهم سبل الافلات . . .

واتصلت جرائمه واضطرب الأمن فى بلده والبلاد القريبة ،

وفى الختام أهنئ صديقى صاحب (الملاح التائه) على كتابه البديع الذى قد تبوأ مكاناً ثابتاً خطيراً فى الأدب العربى . واذا كان الأستاذ طه حسين قد قال عنه إنه مبتدئ فليس معنى هذا أنه ينقصه النضوج أو الجمال . فهذا واضح فى الكتاب كل الوضوح . ولكن معنى ذلك فى نظرى أن لديه ما للمبتدئ من حماس ومن قوة ومن سمو وراء الكمال .

جوان لى پان — عوضه

والناس يعلمون أن لعبد الهادى يداً فى كل شىء ، ولكنهم صامتون لا يهمسون ، لأن لعبد الهادى عيناً ترقب الثرثار ، ولأن الناس يدفعون هذا الصمت ثمناً لأرواحهم وأموالهم إشفاقاً من انتقامه وهم يؤدون اليه ما يفرض عليهم صاغرين اذا اختفت سوائمهم فترد اليهم من حيث يعلمون ولا يعلمون

أما بيومى فقد قلب الأمر غير مرة وانتهت المعركة فى نفسه أخيراً . . . وتغلبت على وساوسه نوازع الثقة فى الله ودوافع الخوف من السرى فى الظلام والبرد ، وتعاونت هذه الأسباب كلها على أن تسوقه الى بيت عبد الهادى ضيفاً . . .

طرق بيومى باب عبد الهادى فى رفق ففتح له وأحسن استقباله وقدم اليه طعاماً وأعقبه بالشاى مثنى وثلاث ، ثم سمر معه الى وهن من الليل وتركه ليجول فى البلد جولة بعد أن أوصى به ابنه سالماً أن يهيء له فراشه فى المنظرة ، سهر بيومى وسالم ما طاب لهما وسمرا ما تشقق بينهما الحديث وشربا الشاى غير مرة ، ودخنا كثيراً ثم ثقلت أجفانهما وفترت أعضاؤهما ولحقهما الخمول ، وأحسا الحاجة الى الراحة فقام كل منهما الى فراشه ، ونام بيومى بعد أن قرأ ما تيسر من القرآن وتوكل على الله وأسلم اليه وجهه

وعاد عبد الهادى بعد ما انتصف الليل وقد طوعت له نفسه أمراً ، وأحسب أن هذا الأمر قد اختصم فى نفسه طويلاً مع الواجب ، وأحسب أن بقايا المروءة المتناثرة فى زوايا قلبه قد تجمعت فانطلقت تقرع أذنيه فى عنف واتصال ... ! ربما لم يسمع ، وأكبر الظن أنه سمع ، ولكنه سخر من ضميره وضحك من هذا الخور الذى لم يألفه فى أعصابه ، اتجه الى الباب ففتحه ودار ببصره فى الظلام والنجوم ، ثم أرسل ضحكة مكبوحة كأنها فحيح أفعى هائلة ثم انقلب إلى الداخل ثانية وأجمع رأيه قبل أن يبدو له ما يرده إلى النكول أو التردد ، حمل الذئب (بلطته) وتسلل إلى المنظرة فدخل ثم وقف وأنصت وتقدم إلى النائم فناوله ضربات متصلة قطعت ما بينه وبين العالم من أسباب الحياة

اضطرب القتيل قليلاً ثم ساد السكون مرة أخرى . . . !

وتحسس عبد الهادى جيب القتيل فلم يجد معه من المال قليلاً ولا كثيراً

عرته الدهشة . . ! أين اختفى المال الذى كان مع بيومى . ؟ لا شك أنه حفظه فى مكان ما فى نفس المنظرة . . . ولم يتردد عبد الهادى فى أن يخفى أثر الجريمة أولاً ... فلف الجثة وحزمها ثم حملها مطمئناً آمناً ، لأن الشك ينحصر عنه وإن فاض حول جميع الناس . . شيخ الخفراء طبعاً . . ! ! وللمرة الأولى أحس عبد الهادى رجفة تأخذ أعصابه وهماً مبهماً جاثماً يستبد بروحه ويضيق عليه أنفاسه ، وثورة صاخبة تصم أذنيه وتدور برأسه ... لقد أخذه الندم ! وأفاق ضميره ولكن متى . . . ! ؟ سمع عبد الهادى وقع حوافر الخيل تخب مسرعة وتناديه أن يقف . . إنهم العسس (الداورية) ! غامت الدنيا فى عينيه وملكه اليأس وأسقط فى يده ولم يملك إلا أن يتطامن للقضاء الأعلى ويعنو لارادة الله التى ترى كل شىء وتدبر كل شىء . . . ! قاتل ! وشيخ خفراء ! ! جريمة ذات شعبتين ، قاده الجند إلى منزله أولاً وعلى كتفه ضحيته .. وحسر الجند اللفائف وتفرسوا فى وجه القتيل وصرخ عبد الهادى وخر صعقا . . !

لقد قتل ابنه خطأ . . . ! واستيقظ بيومى فزعا فأدرك كل شىء ، وأعلن أنه كان ينوى أن يبيت فى المنظرة لولا أن سالما رأى أنها رطبة لا تلائم الضيف فنقله إلى غرفة أخرى وأخذ مكانه فى المنظرة . !

وكان يوم الحكم فشرقت القاعة بالوفود ووقف القاتل فى القفص يبكى فى إطراق طويل وصمت صاخب ومرارة ملتهبة وحسرة لجوج ، وساد السكون فجأة لما ارتفع صوت القاضى يدوى فى القاعة قوياً جلياً هادئاً « أشغال شاقة مؤبدة » .

وقاد الجند الرجل المحطم الى قاعة النيابة فى أعلى المحكمة وهو لا يزال ينشج كالأطفال . . . وغافل الرجل المحطم الحراس وألقى بنفسه من أعلى المحكمة فهوى خليطاً هامداً من اللحم والعظم ...

قلوصنا — **محمود البكرى القلوصنارى**

يوم صيـــــد

للأديب حسين شوقى

ما كادت تلوح بالأفق خيوط النهار الفضية الأولى ، حتى كنا انتبهنا من نومنا : صديقاى وأنا ، وقدأزمعنا الذهاب لصيد البط فى ضواحى الهرم ، وكان كل منا يحمل بندقية ذات عيارين وعدداً كبيراً من الخرطوش ، صعدنا السيارة ونحن أشد بهجة من فصائل اسكندر المقدونى الفتية لدى زحفها على آسيا .

أما المدينة فكانت غارقة فى النوم فى تلك الساعة المبكرة ساكنة بأحقادها وشهواتها ، ولم يكن أحد مستيقظاً ، اللهم الا محرك سيارتنا .

سارت بنا السيارة فى شارع الهرم ، ولما بلغنا المستنقعات الواقعة فى الجهة الغربية من طريق الهرم ، غادرناها وركبنا زورقاً طلى بالطلاء الأسود حتى لا نشعر البط بوجودنا بالمستنقع ، وكان موجوداً بكثرة على سطح الماء .. هل كان البط نائماً وقتئذ ؟ لم يكن لدينا شك فى ذلك برغم اعتراض دليلنا — وكان فتى قرويا — وذلك لسكونه سكوناً عجيباً . .

ولكنا كنا مخطئين إذ لم نكد نقترب منه حتى انطلق فى الجو . كأنه سهم نارى فأطلقنا عليه البنادق فى الهواء ولكن بدون جدوى رغم عدده الكثير . . لقد ظهرنا فى عينى دليلنا القروى صيادين غير ماهرين ، فانتزع بندقية أحدنا وأطلق طلقة واحدة أسقطت بطة فى الحال !

وا أسفاه على الدروس التى تلقيتها فى صباى للصيد فى الهواء ! كنت أتمرن وقتئذ على البيض ، يقذفون لى البيض فى الهواء فأطلق عليه بندقيتى فاذا أصيب البيض وهو ما كان يقع نادراً — سال فأمطرنا مطراً أصفر !

وبعد محاولات يائسة لصيد البط ، غادرنا المستنقع اذ لم نجد سبيلاً الى البط فهو شديد الفطنة . .

كيف يدرك البط الخطر على مسافات بعيدة ؟ إن شأنه شأن الحمام الزاجل الذى يعرف طريق الوطن على بعد مئات من الأميال . هل تكشف لنا الطبيعة يوماً عن مثل هذه الأسرار ؟

قبل أن نغادر المكان تركنا لدليلنا القروى البطة التى صادها هو ، حتى لا تذكرنا فشلنا على الدوام . .

هل كنا نعود وقتئذ الى المنزل ؟ لم يكن فى استطاعتنا أن نفعل ذلك ، إذ لو عدنا لصرنا سخرية الجميع . . صممنا بعد ذلك على البحث عن طير يكون أقل فطنة من البط . .

ها نحن أولاء نسير وسط الغيطان التى كسيت بساطاً أخضر جميلاً من البرسيم . . ثم اعترضتنا ترعة لا جسر عليها للمرور ، وكنا فى حيرة من أمرنا حينما أقبل قروى وتطوع أن يحملنا على ظهره عبر الترعة . وقد مررت بهذه الطريقة ، ومر أحد صديقى . وأما الصديق الثالث وكان بديناً ، فقد غرز هو وحامله فى الطين ، وبدلاً من أن يعمل على الخروج من الترعة ، أخذ يضرب القروى المسكين ! . يا له من منظر مضحك أنسانا فشلنا مع البط !

ثم أقبل قرويان آخران فقاما بعملية النجدة . . بعد ذلك بلغنا مكاناً مظللاً بالأشجار الكثيفة ، حيث أخذت العصافير تزقزق جزلة مسرورة . . وقد شاهدنا على أحد الغصون يمامتين تتناجيان ، كم كان منظرهما جميلا ، وقد طوق عنقاهما بطوق فاحم جميل ، كما رصع منقاراهما بالياقوت . .

ثم حدث ما كنت أخشى وقوعه ، فقد اقترح صديقاى أن نصطادهما ! لم يكن فى طاقتى أن أطلق النار على هذين المخلوقين الجميلين ، إنها حقاً لوحشية ! لذلك رفضت ، فقال أحد صديقى ليقنعنى : أطلق ولا تكن غبيا ، لقد حللت لك الصيد قوانين السموات والأرض ! فقلت : ليكن ، ولكن قلبى لا يطاوعنى !

ولما رآنى صديقى مصمماً على الامتناع ، أطلق هو عياراً فأردى احدى اليمامتين ، سقطت وقد كسر جناحها ، كما أن خرطوشة أخرى لا بد أنها اخترقت قلبها ، لأن الدم كان يسيل من منقارها بغزارة .

ورغم وحشيتنا هذه كانت عينا اليمامة ترمقاننا فى حنان ، كأنها قد غفرت لنا فعلنا كما غفر عيسى من قبل لمضطهديه اليهود ! يا للأسف ! إننا ما زلنا متوحشين نسر لرؤية الدم ! كم نحن بعيدون عن المثل العليا التى ينشدها أفلاطون !

ومن ذلك اليوم كرهت الصيد ، فكل عام أجدد رخصتى دون أن أجدد رغبتى .

حسين شوقى

الكتب

علم الدولة

[الجزء الأول فى أصول الدولة وتطورات فكرتها]

تأليف الأستاذ أحمد وفيق

يقع الجزء الأول من هذا الكتاب الفذ فى نحو أربعمائة صفحة من القطع الكبير ، وهو ثمرة جهود شاقة وتجاريب طويلة وحسبك أن فكرة الكتاب قد جالت فى رأس مؤلفه الفاضل منذ خمسة وعشرين عاما ، وأن العمل على اصداره ظل شغله الشاغل طوال هذه المدة ، ذلك لأنه آثر التريث وامعان النظر واطالة البحث والاطلاع حتى جاء عمله فى النهاية جديراً بفضله وأدبه وواسع خبرته .

مهد الأستاذ لموضوعه الواسع بمقدمة ضافية محكمة فتكلم عن أسباب إصداره هذا الكتاب مشيراً الى حاجة الشرق فى نهوضه الى مثل هذه البحوث ، ثم عرف هذا العلم الى القارئ وجاء بلمحة تاريخية عنه ، وبين له كيف تدرس فكرة الدولة عملياً ، وتعرض لآراء العلماء فى ذلك وهى بحق مقدمة شيقة ، تدلك على شدة اهتمام الاستاذ بموضوعه كما تشهد بحسن فهمه واستيعابه له .

بعد ذلك تكلم الأستاذ فى هذا الجزء من كتابه عن أصول الدولة وعرض فى أسهاب ودقة النظريات المختلفة التى وضعت للدولة ، فتكلم عن نظرية الطبيعة ، وعن نظرية الأصل الاصطلاحى شارحا العقد الاجتماعى وأصله ، مورداً آراء الفلاسفة فى ذلك . ثم انتقل الى نظرية التكوين الاختيارى الضرورى للدولة ذاكراً فى كل نظرية ما دار حولها من الآراء .

وبعد أن انتهى الأستاذ من سرد النظريات وشرحها ، عاد الى الكلام عن التطور التاريخى لفكرة الدولة : فتكلم عن فكرة الدولة فى الهند وفارس والصين ومصر ودولة الإسرائيليين واليونان والرومان ، ثم انتقل الى العصور الوسطى وعهد إحياء العلوم وعهد الاصلاح مورداً فى كل هاتيك الخطوات آراء العلماء والفلاسفة شارحا جميع الحركات الفكرية والسياسية والاجتماعية التى لم يكن منها بد لموضوعه ، وقد ختم الجزء الأول عند هذا الحد ، وسيفتتح الجزء الثانى بتناول الفكرة ابتداء من عهد الانتقال بين عصر الاصلاح وعصر الثورة الفرنسية .

وانى وقد أعجبتنى طريقة الأستاذ وفيق فى بحثه ، وراقتنى فصاحته وخبرته لأتقدم اليه باقتراح أرجو أن ينال عنده القبول ، ذلك أن يفرد باباً من كتابه لفكرة الدولة فى الاسلام وتطورها منذ عصر الخلفاء ، فان القارئ الشرقى ليتطلع الى هذه الناحية فى شوق عظيم ، ولا سيما اذا صدرت من عالم جليل كالأستاذ وفيق له مثل هذه الخبرة عن الدولة وفكرتها ما؟

م . الخفيف

غاندى والحركة الهندية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

غاندى والحركة الهندية كتاب جدير بأن يطلع عليه كل شبابنا فهو حافل بدروس الوطنية الصادقة مصورة فى حركة من أروع وأجل الحركات الوطنية وفى شخصية من أعظم شخصيات التاريخ هى شخصية غاندى الرجل العظيم والزعيم النادر المثال والانسان الكامل ، الذى لا يجود الزمان بأمثاله من العظماء الا كل حقبة طويلة من الدهر .

أعجبنى فى هذا الكتاب تفصيل الموضوع وحسن تقسيمه وتقريبه الى أذهان القراء فى مهارة ولباقة عرف بهما مؤلفه الفاضل . ثم أعجبني أكثر من ذلك ما أحسسته من حماس الأستاذ وصراحته وصدق تأثره بما يكتب واندماجه فى موضوعه حتى لتحار فيما لو كان الأستاذ يسرد عليك تاريخ وتطور حركة من الحركات الوطنية أم هو يسمعك آراءه الصريحة الجريئة فى الاستعمار وما ينجم عنه من نكبات كل ذلك فى أسلوب علمى دقيق جمع بين حماس القلب ورزانة العقل .

قسم الأستاذ هذا الكتاب الى ثلاثة أجزاء ، ففى الجزء الأول

يتكلم عن الأحوال العامة فى الهند ، وفى الجزء الثانى يبسط لك سياسة غاندى وفلسفته ، وفى الجزء الثالث يورد لك بعض مقالات وحكم كتبها غاندى ونشرت فى المجلات الهندية .

وغاية الأستاذ من هذا الكتاب جديرة بالثناء ، انظر إلى قوله « ونحن فى جهادنا للمبادىء الأمبراطورية البريطانية نشبه الهنود وان كانت قدم الأنجليز فى الهند أرسخ وتاريخهم أطول ، ولهذا السبب نفسه يجب أن نستنير بحركتهم كما استناروا هم بحركتنا فان زعماءهم كثيراً ما ذكروا الاتحاد بين المسلمين والأقباط فى مصر ودعوا أبناء أمتهم المسلمين والهندوكيين الى مثله فى الهند .

وسيجد القارىء المصرى فى هذا الكتاب كثيراً من المواضيع التى يهمه معرفتها ، كأصل الحركة الهندية والديانة الهندوكية ، والفقر والنجاسة ، والدستور الجديد ، وغاندى وحياته وموقفه من المدنية الحديثة وما لم يعرف عن غاندى ، وصوم غاندى الأول ، هذا إلى بعض مقالات غاندى نفسه ، مما يجعل الكتاب جديراً بالمطالعة والانتفاع مما جاء فيه من دروس نحن أحوج ما نكون اليها ؟ م .

مثلنا الأعلى

قصة وضعها عبدالمجيد عباس المعلم فى مدرسة تطبيقات دار المعلمين
مطبعة الحكومة — بغداد

قصة تمثيلية تقع فى أربعين صفحة من القطع الكبير ، موضوعها الوحدة العربية والدعوة اليها ، أهداها صاحبها الفاضل الى روح المغفور له فيصل بن الحسين فقيد العرب العظيم وجاء فى هذا الاهداء أنها « مثلت فى حضرة جلالته فحباها بالاعجاب ، وظفرت من جلالته بالرضا »

ونحن لا يسعنا إلا الاعجاب بكل ما يكتب عن الوحدة العربية والدعوة إليها كما أنى أشعر بالغبطة والارتياح بعد تلاوة القصة ، وذلك لما تخللها من شعور كريم وآراء سديدة . ولكني إذا نظرت للقصة من ناحية الفن ، أجدنى ميالا الى أن أصرح لمؤلفها الفاضل بأن هذا الموضوع الكبير ، كان يحتاج الى طريقة خير من طريقته التى اتبعها ، كما أن القصة يكاد ينعدم منها الجو القصصى ، وكأنى فى مواضع كثيرة منها كنت أستمع الى مناظرة فى موضوع الوحدة العربية ، فالحوار ينقصه الفن فى الأداء والتوجيه ، والآراء تسرد بطريقة سطحية جافة كما يجىء على لسان مدرس المطالعة عند شرح موضوع درسه ، هذا الى أنها تكاد تخلو من المواقف المثيرة والمفاجآت القوية ، كما أن مناظرها محدودة وأشخاصها قليلون لا أكاد أفرق بينهم فى خلق ، غير أنى أشعر بميل المؤلف الفاضل الى القصة واتخاذها أداة لنشر آرائه ، ولعلنا نجد منه فى المستقبل ذلك الفنان الناضج الذى يجمع بين الموهبة والثقافة ؟

م . الخفيف

صحيفة دار العلوم

تفضلت جماعة دار العلوم فأهدت الينا هذه الصحيفة الجليلة التى تصدرها كل ثلاثة أشهر فى العلم والأدب والاجتماع ، وهى ولا شك أثر نفيس من آثار هذه الدار المباركة التى حملت أمانة اللغة وأدت رسالة الأدب فى ثقة المؤمن وإخلاص المجاهد فى العصر الحديث .

وأقلام الصحيفة كلها من الأقلام البارعة التى تخرجت فى الدار ونبهت فى الأدب والاجتماع والتربية

بدل اشتراك الصحيفة السنوى لغير الطلبة عشرون قرشاً
وثمن العدد خمسة قروش